بعد بالملك الأشرف موسى بن العادل أبى بكر ، وكان يتولى الإمارات الشرقية فى حياة أبيه ثم تولى بعد ذلك الشام، وكان اتصاله بهسنة ثلاث وستمائة (٦٠٣هـ)[١] ويكشف عن ذلك فى مقدمته لبدائع البدائه . وهنا نراه يتوسل بهذا الكتاب مرة ثانية ، وقد اكتمل ونضج هذه المرة للقربى من الأشرف وكان محبًّا للأدب بعد أن كان عرضه من قبل على القاضى الفاضل. يقول ابن ظافر فى البدائع : « .. ولم يزل ذلك الجزء — يعنى بدائع البدائه المهدى للقاضى الفاضل — عنى منسى الذكر، وعندى خامل القدر حتى مثلت بالجناب العالى الملكى الأشرفى ، أعز الله سلطانه فى سنة ثلاث وستمائة ، وذلك قبل أن أتمسك بحبله ، وآوى إلى ظله ، فجرى فى مجلسه ذكر ذلك الجزء فحسن من خاطره موقعه ، فرسم لى نقله . وقد كنت فى زمن فترتى جمعت أخباراً كثيرة قارب حجم الجزء الأول مجموعها ، وفاق على كثير منه مسموعها ، فجمعت شمل الطارف والتليد ، والقديم بالجديد وأنفذت به ، وأوفدته عليه[٢] »

وهكذا نرى ابن الظافر بعد أن زاد فى ابتكاره الأدبى مادة قدمه للأشرف ، وقدر له أن يظفر بالقربى منه ، ويتمكن من نفسه ، وينزل المنزلة العالية . ويحكى لنا ذلك فيقول : وكنت عند المولى الأشرف أبقاه الله تعالى فى سنة ثلاث وستمائة بالرها ، وقد وردت إليه فى رسالة ، فأنزلنى بين سمعه وبصره فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبى ، أو إرادة الحديث معى . . »[٣] ، ويزيدنا تأكيداً لهذه الحظوة فى موضع آخر فيقول فى بدائعه : « ومررت أيضا عليه ، وقد أنفذنى السلطان — خلد الله تعالى ملكه فى رسالة إلى الموصل فى سنة سبع وستمائة فلما عدت أمسكنى عنده نحو شهر بالرها ، وجرت لى عنده بدائه كثيرة »[٤]

ومما تقدم من النصوص يتضح لنا أنه اتصل بالسلطان العادل أبى بكر بعد استيلائه على ملك أخيه ، وأنه صحبه ، فكان فى عسكره بالإسكندرية سنة ٦٠١هـ وأنه سفر

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٤ / ٤١٣ .
(٢) بدائع البدائه ص ٦ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٨١ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٨٢ .

بينه وبين ابنه الأشرف موسى سنة ٦٠٣ ، سنة ٦٠٧ هـ إلى أن يستقر من سنة ٦٠٨ هـ فى خدمة الأشرف موسى ، ويصرح فى موضع من كتاب البدائع بأنه « كان مقيماً فى أواخر سنة ثمان وستمائة بنصيبين فى خدمة الملك الأشرف لتدبير أحوالها وتزجية وجوه أموالها[١] »

وفى موضع آخر يقول : إنه كان برأس العين فى خدمة الملك الأشرف[٢] .

ولمن يتصل بالملوك أحوال ، فهم ساعة فى صعد يلمع نجمهم ويزهر ، وساعة فى صبب يخبو النجم فينطفئ ، والسلطان من لا يتصل بالسلطان كما قيل ، وهكذا كان ابن ظافر ، فبعد أن بلغ تلك المنزلة عند الأشرف وتولى له بعض المهام الرسمية والولايات ، انصرف عن خدمته ولكنه كان انصرافاً جميلا كما يقول : « . . وكان يصحبنى وأنا فى خدمة الأشراف — أبقاه الله — رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخير ، هاجر إلى دمشق ، يقال له جمال الدين على الدين ابن أبى طالب ، فلما رأيت ما عليه الأحوال من الاختلال ، وقويت فى نفسى شهوة الانفصال ، كنت ليلى ونهارى مكبًّا على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله ، وتيسير ما أرجوه منه ، وأقمت على هذا مدة طويلة ، بحيث كان الأمر مشهوراً عند كل أحد من الحاشية ، فأخبرنى أنه بات مشغول القلب بما يسمعه منى فى ذلك ، فرآنى فى جامع دمشق تحت النسر ، وإلى جانبه شيخ ، وكأنهم ينتظرون الصلاة ، وإذا برجل شاب قد أقبل من الباب الغربى فقال له الشيخ : يا أبا العباس أجز :

إن ابن ظـافر سـوف يظـفر بالذى يرجوه عاجل

فقال :

ظفرت عـداه بخيبـة وغـدا لما قـد شاء نائل

فسررت بذلك فلم يكن شىء أسرع من عود الملك الأشرف أبقاه الله من دمشق ، وانفصالى من خدمته على الوجه الجميل . وكان ذلك — والله — أعظم ظفر ، وأرفق قدر . ولو لم يكن فيه إلا الرجوع إلى الباب الذى منه درجت ، وفى خدمته

---

(١) بدائع البدائه ١١٢ .

(٢) بدائع البدائه ص ٥٥ .

تخرجت ، والوطن الذى هو أول أرض مس ثراها جلدى وعلقت فيه تمائمى ، فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الأمل بمنه وطوله » [1] .

وانطلق من خدمة الملوك إلى وطنه ناعم البال ، ليقضى ما بقى من عمره متحرراً من قيد الخدمة السلطانية ومظاهرها وتكاليفها التى قد تبهر شاباً فى مقتبل حياته ببهرجها ولكنها تثقل كهلا قارب عمره الستين ، ولكنه وإن أراد ذلك وأحبه لنفسه طلباً للراحة والهدوء ، فإن الطمع غلاب ، والدنيا تغر . . . وهكذا بعد أن عاد على بن ظافر إلى مصر وطنه لم يعتزل وظائف الدولة كما أراد عند فراقه للأشرف ، أو كما تراءى له عندئذ ، وكاد فى محنة الملل من ضيق ألم به ، بل عاد من جديد يتولى وكالة بيت المال [2] فى عهد الملك الكامل بن العادل .

واعتزل ابن ظافر وكالة بيت المال ليفرغ للتدريس ، ويعيش ما بقى من أيام حياته زاهداً متنسكا ، يدرس الحديث وعلوم الدين فى المدرسة المالكية ، حيث سبق أبوه إلى التدريس بها وظل كذلك حتى توفى سنة ٦٢٣ هـ . يقول ابن شاكر فى كتابه : « . . كان له ميل كبير إلى أهل الآخرة ، محباً لأهل الدين والصلاح ، أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية وأدمن النظر فيها . روى عنه القوصى وغيره »[3] .

وهكذا بدأ على بن ظافر حياته أديباً ، وختمها رجل دين ، وملأ مابينها من سنين نشاطاً فى الأدب والسياسة ، يكتب للسلاطين ويقوم على خدمتهم ومسامرتهم ، ويتولى لهم بعض الأعمال .

وفيما مر فى ثنايا ترجمته نجد العناصر الغالبة على ثقافته عناصر الأدب والتاريخ ، وقد ترك تراثا من الكتب فى هذين الموضوعين ، نجملها فيما يلى :

فى التاريخ :

١ — ذيل المناقب النورية ، وقدمه لصلاح الدين ، وتوجد منه نسخة خطية بالأسكوريال [4] .

---

(١) بدائع البدائه ص ٥٦ . (٢) فوات الوفيات ٢ / ١٠٧.

(٣) فوات الوفيات لابن شاكر ص ١٠٧ .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٣ ص ٦٥ .

٢ — الدول المنقطعة ، وهو كتاب مفيد جداً فى بابه [١] ، ويصفه جورجى زيدان بأنه فى أربعة مجلدات يشمل تاريخ الدولة الحمدانية ، والساجية ، والطولونية ، والأخشيدية والفاطمية ، والعباسية إلى سنة ٦٢٢ هـ . ومنه نسخة فى غوطا ، وفى المتحف البريطانى ؛ ونشر الجزء الخاص بالدولة الساجية فى بون سنة ١٨٢٣م .

٣ — أخبار الملوك السلجوقية .

٤ — أساس السياسة [٢] .

ومما يجمع بين التاريخ والأدب :

٥ — أخبار الشجعان .

٦ — كتاب من أصيب ممن اسمه على ، وابتدأ بعلى رضى الله عنه [٣] .

ولم يصلنا هذا الكتاب .

٧ — نفائس الذخيرة ، ولم يكمل .

٨ — مكرمات الكتاب [٤]

٩ — بدائع البدائه ، والذيل عليه ، وقد سلم البدائع ، أما الذيل فلم نعثر عليه ؛ وقد نزع فى البدائع منزعاً طريفاً إذ اتجه إلى جمع أخبار الشعراء مما يتصل بالقول على البديهة أو الإبداع والابتكار . وكان على بن ظافر نفسه ممن يقول الشعر على البديهة ، وإن كان شعراً يعتوره ما يعتور شعر أصحاب الطبع من الخلل والتسهل وعدم الإتقان .

١٠ — غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، وهو الذى نحن بصدد تحقيقه .

ونستطيع أن نقول إن ابن ظافر قد أجرى على كتبه ، كما يفعل كثير غيره من المؤلفين القدامى والمحدثين كثيراً من التعديل والتغيير ، فهذا الكتاب « التشبيهات » لا شك قد جرى عليه ماجرى على كتابه « البدائع » من إضافة لنصه الأصلى الذى ألفه فى شبابه ، ولم يتركه على حاله التى قدمه بها للملك الأفضل على .

---

(١) فوات الوفيات لابن شاكر جـ ٢/١٠٧ (٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر السابق ، ومعجم الأدباء جـ ١٣ / ٢٦٦ — ٢٧٦ وقد ورد اسمه محرفاً وصححته ماذكرناه .

(٤) معجم الأدباء لياقوت جـ ١٣ / ٢٦٦ .

التشبيهات

التشبيه فن من فنون التعبير الشعرى ، أولع به شعراء العرب منذ الجاهلية حتى العصور المتأخرة . وقال المبرد : « والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد »[1] . وجعله قدامة بن جعفر فى كتاب « نقد الشعر » أحد أغراض الشعر الرئيسية كالمديح والنسيب والهجاء والمراثى والوصف[2]، وذكر ابن سينا أن العرب تميل للتشبيه لميلهم إلى وصف الأشخاص لا الأحوال .

واهتم شعراء العرب المحدثون بالتشبيه ، وحاولوا أن يبدعوا فيه ، وقصد بعضهم إلى التشبيه لذاته كما فعل ابن المعتز وكثير ممن تبعه من أصحاب هذا الاتجاه من شعراء القرون المتأخرة .

واهتم علماء الأدب والشعر بهذا الفن التعبيرى وتتبعوه فى أشعار العرب ، ومن أول من فتح الباب فى تلك الدراسة ، المبرد فى كتاب الكامل إذ قال : « واعلم أن للتشبيه حدًّا ، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس ، فإنما يراد الضياء والرونق ، ولا يراد العظم والإحراق ، قال الله عز وجل: ﴿كأنَّهنَّ بيْضٌ مكنُون﴾، والعرب تشبه النساء ببيض النعام ، تريد نقاءه ونعومته وبياض لونه »[3] .

ويقول المبرد : «إن العرب طرقوا التشبيه فى أشياء معينة شبهوا بها غيرها وتداولوها فيما بينهم وتعارفوا عليها حتى صارت تقليداً ، وجرت مجرى الأصول فى آدابهم قال : « والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس ، وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم عن أصل أخذوه، أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية ، والأنف بحد السيف ، والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد، والعنق

---

(١) الكامل للمبرد جـ ٢ / ٤٢ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بتحقيق كمال مصطفى وطبع الخانجى بمصر ص ٥١ .

(٣) الكامل ٢ / ١٧ طبع صبيح .

بإبريق فضة ، والساق بالحمار . فهذا كلام جار على الألسن »[1]

فالمبرد يرى رأى نقاد العرب القدماء الذين يهتمون بالتشبيه كأداة للبيان تبرز الصفة الغالبة فى المشبه أو المراد تغليبها عن طريق محاكاته : أو تشبيهه ومقارنته بشىء آخر تغلب عليه الصفة المذكورة ، وعرف بها فى أوهام الناس وبهذا يكون دور التشبيه التعبيرى هو نقل الصفة أو الصورة من الأكثر إلى الأقل . أو كما قال ابن رشيق : « وسبيل التشبيه — إذ كانت فائدته إنما هى تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له — أن تشبه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه »[2] .

وفيما يقوله ابن رشيق وجهة نظر ، لأنه يحتمل فى العلوية والدونية هنا الدرجة ، التى عليها الصفة أو المشابهة ، ويحتمل تواجدها على تلك الدرجة عرفاً لا حقيقة ، كتشبيه الخدود بالورود مثلا ؛ فقد درج الناس على تشبيه الخدود بالورد لأن الحمرة فى الورد غالبة فى الدرجة ، وقد يلجأ الشعراء إلى الإيهام بعكس ذلك لتعارف الناس على حمرة الخدود ، فتثبت فى الأذهان لها تلك الصفة فيشبه الورد بها بدلا من تشبيهها هى به .

ومن هنا فلا دونية هناك ولا علوية ، ولا ذمّ إذاً فى تشبيه الورد بالخدود ، بل تمليح وتجديد . وربما يرجع قول ابن رشيق هنا إلى قول ابن سينا كما نقله حازم القرطاجنى فى مناهج البلغاء وهو : « وكل محاكاة فإما أن يقصد بها التحسين ، وإما أن يقصد بها التقبيح ، فإن الشىء إنما يحاكى ليحسن أو يقبح »[3] . وهذا مرده بدوره إلى كلام أرسطو فى كتاب الشعر حيث تحدث عن المحاكاة فى الفن .

ويختلف قدامة عن المبرد وابن رشيق فى النظر إلى دور التشبيه فى الشعر إذ يرى أن التشبيه الجيد هو الذى تتفق فيه صفات أكثر بين المشبه والمشبه به حتى يصل الأمر بينهما إلى المطابقة يقول : « إنه من الأمور المعلومة أن الشىء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ٦٦ .

(٢) العمدة بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ٤٠ .

(٣) فن الشعر لعبد الرحمن بدوى ص ١٧٠ .

تغاير ألبتة اتحدا فصار الاثنان واحداً ، فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ، و يوصفان بها وافتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ماأوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد »[1] .

وعلق ابن رشيق على قول قدامة مخالفا فى الرأى فقال : « وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما ، حتى يدنى بهما إلى حال من الاتحاد ، وأنشد فى ذلك — وهو عنده أفضل التشبيه كافة — :

له أيطلا ظبى وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وهذا تشبيه أعضاء بأعضاء هى هى بعينها ، وأفعال بأفعال هى هى بعينها ؛ إلا أنها من حيوان مختلف كما قدمت ، والأمر كما قال فى قرب التشبيه ، إلا أن فضل الشاعر فيه غير كبير حينئذ لأنه كتشبيه نفس الشىء المشبه الذى ذكره الرمّانى فى تشبيه الحقيقة ، وإنما حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك ، كما قال الأشجعى :

كأن أزيز الكير إرزام شجنها إذا امتاحها فى محلب الحى ماتح

فشبه ضرع العنز بالكير ، وصوت الحلب بأزيزه ، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت »[2]

وكلام قدامة، عن دور التشبيه ، كلام منطقى لا كلام فنان شاعر ، ذلك أنه يرى المطابقة فى الصفات أو فى الحكاية ، وأتم ما تكون تلك المطابقة بين الشىء ونفسه أو بين الشىء والشىء من جنسه ، كالتشابه بين اليد، واليد والرجل والرجل . وليس دور التشبيه كما يراه قدامة مجرد تشابه شكلى أو معنوى ، إنما فيه جوانب أخرى تتعلق بالفن فى روحه ومعناه ودوره فى مخاطبة المشاعر والأحاسيس ، ومخاطبة الذهن والفكر .

---

(١) نقد الشعر ١٠٨ .

(٢) العمدة ١/٤٠ .

وتحدث الرمانى[1] عن المطابقة التامة فى التشبيه فسماه التشبيه الحقيقى كما ذكر ابن رشيق ، وسمى ما تشابه فى صفة أو صفتين بالتشبيه المجازى أى الذى يوقعه الشاعر ويأتى به من النيق البعيد ، كما يقول عبد القاهر الجرجانى ، ومن حيث لا يتوقع السامع أو القارئ فيهش له ويطرب لأنه يوقفه على شىء لم يقع عليه وينبهه إلى ما لَمْ يطرأ على ذهنه تنبه إليه .

وينظر ابن طباطبا إلى التشبيه من زاوية أخرى فيقول مثل صاحبه: « فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض، بل يكون كل ما يشبه بصاحبه، ويكون صاحبه مثله مشتبها به صورة ومعنى ، وربما أشبه الشىء الشىء صورة وخالفه معنى ، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة ، وربما قاربه ، وداناه ، أو شامه ، وأشبهه مجازاً لا حقيقة »[2] .

ويقول: « والتشبيهات على ضروب مختلفة ، منها تشبيه الشىء بالشىء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به حركة وبطئا وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض ، فإذا اتفق فى الشىء المشبه بالشىء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له »[3] .

ورأى ابن طباطبا هذا، وإن رجع فى كليته إلى قول قدامة، إلا أنه يقول بالتشبيه العكسى أى صحة انعكاس طرفى التشبيه دون إشارة إلى الدونية والعلوية ، ومن ثم إلى المديح أو الهجاء اللذين تصورهما مجرد علاقة فى طرفى التشبيه قدامة بن جعفر ، فيكون المديح تصاعد العلاقة من الأدنى إلى الأعلى ، والهجاء العكس . وربما صح ذلك بمقياس المنطق ، ولكنه لا يصح دائمًا بمقياس الذوق وفى صنعة الشعر حيث يلعب الشاعر بالتشبيه على أوتار الحس ، فيوهم بقيام علاقات لا وجود لها ويضخم الصغير ويصغر الكبير . ويشبه الشىء بالشىء من جنسه ومن غيره .

---

(١) راجع ماذكره عن التشبيه فى « النكت فى إعجاز القرآن » طبع دار المعارف سنة ١٩٦٨ الطبعة الثانية ، ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن .

(٢) عيار الشعر بتحقيق الدكتور طه الحاجرى والدكتور محمد زغلول سلام، وطبع التجارية بمصر ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٧ .

كذلك ألمح ابن طباطبا على تفاصيل وجوه الشبه مما يتصل بحاسة النظر ، أو حاسة السمع ، وفتح الباب أمام غيره لتفصيل الحديث عن وجوه الشبه الأخرى المتصلة ببقية الحواس كاللمس والشم والذوق التى يحيل إليها الشاعر فى التشبيه ليصل إلى إدراك المعنى الذى يريد التعبير عنه بطريق إشباع الحاسة التى يراها أقوى أثراً فيه .

والأصل فى فن التشبيه أنه تعبير فنى ، وأنه ضرب من المحاكاة فى صور الشاعر للطبيعة عن طريق البحث لما يريد التعبير عنه من المعانى عن معادل أو موازن حسى من الطبيعة أو البيئة المدركة بالحس .

ولما كانت القدرة الشعرية متفاوتة بين مدارك الحس ومدارك العقل ، تبعاً لتفاوت الشعراء فى ثقافاتهم وبيئاتهم ، وحيواتهم ؛ كذلك تفاوتت التشبيهات ، والصور الشعرية عامة بين مدركات الحس ومدركات العقل ، أو بمعنى أوضح تفاوتت فى الاعتماد على الحس والتصوير الحسى القريب من ناحية أو الاعتماد على التجريد العقلى من ناحية أخرى .

ونلاحظ بصفة عامة أن الأمم فى حياتها البادية ، وفى طورها الأول تعتمد فى لغتها وبيانها على الحس أكثر من الاعتماد على التجريد العقلى ، حتى اللغات نفسها نجدها تتدرج من غلبة الألفاظ الحسية المدلول فى الأطوار الأولى للأمم إلى غلبة الألفاظ ذات المدلول المعنوى أو العقلى فى أطوارها الراقية .

وقد غلبت الحسية على الشعر العربى فى الجاهلية ، ونضرب مثلا قول أوس بن حجر حين أراد التعبير عن انخفاض السحاب فقال :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

والشعر الجاهلى بعد ذلك ملىء بالصور الحسية لحياة البادية وحيوانها ، وقد استغرق بعضهم وصف الناقة وصفا حسيًّا بصورة لا نعهدها فى غير الشعر العربى[1] وقال ابن طباطبا : « واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات

---

(١) راجع لايال فى مقدمته للمفضليات

والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ومرت به تجاربها ، وهم أهل وبر : صحونهم البوادى وسقوفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها وفى كل واحدة منها فى فصول الزمان على اختلافها من شتاء وربيع ، وصيف وخريف ، من ماء وهواء ونار وجبل ونبات وحيوان ، وجماد ، وناطق وصامت ومتحرك وساكن ، وكل متولد من وقت نشوئه ، وفى حال نموه إلى حال انتهائه ، فتضمنت أشعارها من التشبيه ما أدركه عيانها وحسها » [1]

وقد تحول الاهتمام بالتشبيه من الرغبة فى التعبير بما يقع فى دائرة الحس من الأشياء إلى الرغبة فى التشبيه للتشبيه فى عصور الحضارة والازدهار ، للاستمتاع بالصورة التى يبدعها الشاعر ، وللإغراب فى تقصى وجوه الشبه ، والإبداع فى خلق العلاقات . وقد بدأ الاهتمام بالتشبيه لهذا الغرض فى الشعر العربى منذ القرن الثالث وطوال القرون التالية ، وربما كان ابن المعتز الشاعر البارز فى هذا المجال ، وهو الذى اختط لغيره طريق التشبيه للاستمتاع .

وقد لاحظ ابن سيناء كما أشرنا من قبل لهفة الشعراء فى عصره على الصور الشعرية من تشبيه أو استعارة وخاصة تشبيه الذوات فى صور « استاتيكية » ثابتة . يقال :

« والشعر اليونانى إنما يقصد فيه ، فى أكثر الأمر ، إلى محاكاة الأفعال والأحوال لا غير ، وإنما الذوات فلم يكونوا يشتغلون بمحاكاتها أصلا كاشتغال العرب ، فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر فى النفس أمراً من الأمور تعديه نحو فعل أو انفعال . والثانى للعجب فقط ، فكانت تشبه كل شىء لتعجب بحسن التشبيه » [2] .

وتطور التشبيه من الاستمتاع الحسى إلى الاستمتاع العقلى ، وإذا كان رائد الاتجاه الأول ابن المعتز ، فإن رائد الاتجاه الثانى أبو تمام ، ودعا له أنصاره من العلماء والنقاد ووضع أصوله وفلسفته الفنية عبد القاهر الجرجانى . وأصبح التشبيه عند هؤلاء لعبة عقلية تلذ العقل .

---

(١) عيار الشعر ص ١٠ .

(٢) فن الشعر لعبد الرحمن بدوى ١٧١ .

وإذا ما عدلنا عن الحديث فى التشبيه وغاياته إلى حديث آخر فيما نستطيع أن نفيد به منه ، فإنا نرى أن فى التشبيهات الشعرية مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة ، والطباع ومظاهر السلوك ، والنشاط الإنسانى فى أطوار البداوة والحضارة فضلا عن الصور والمشاهد الغنية الدقيقة للطبيعة التى قد لا نستطيع أن نلمسها أو نمر بها فتعطينا تجربة مفيدة كتلك الصورة التى رسمها الشاعر للحرباء فى قيظ الصحراء إذ يقول :

يضحى بها الحرباء وهو كأنه خصم معد للخصومـــة موفق

ونعرف من عاداتهم وعقائدهم أنهم كانوا يعلقون حلى النساء على الملدوغ ليشفى من اللدغ ، ونعلم أن من كان يحترف الكتابة بينهم جماعة اليهود لكثرة ما يشبهون من خطهم وكتابهم كقول أبى حية النميرى :

كما خط الكتاب بكف يومًا يهودى يقارب أو يزيل

وتحس بتفاصيل حياة الرعاة فى تشبيهاتهم المأخوذة من تلك الحياة كقول أ. النجم العجلى ويشبه الكمى ببعير دُهن بالقطران ليشفى من الجرب :

صدى القباء من الحديد كأنه جمل تَعَمَدهُ عظيم هنـــاء

وتعرف من عادات الرعيان أن يوقدوا النيرات فى رءوس المرتفعات ليهتدى بها السائرون ليلا ، ويصور لك امرؤ القيس صوراً جميلة ، وتعرف من منازلهم ومرابعهم وكيفية إقامة الخيام من دق الأوتاد وشد الأطناب ، وإقامة العمد ؛ مما تردد كثيراً فى أشعارهم من تشبيهات مأخوذة من هذه الأشياء .

وتعلم أنهم يتابعون مساقط المياه وأنهم يتدلهون بالغيث ، فيشتقون من صوره ومعانيه كثيراً من التشبيهات التى تقفك على مدى تقديسهم للمطر وكل ما يتصل به من برق وسحاب . وقال جرير :

ما استوصف الناس من شىء يروقهم إلا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا
كأنهـــا مزنة غراء رائحـــة أو درة لا يوارى لونها الصدف

وقال الأعشى وشبه امرأة تمشى الهوينى بالسحابة :

كأن مشيتها من بيت جارتـــا مر السحابة لا ريث ولا عجل

ونعلم من تشبيهاتهم بالرياح والنسائم أنهم كانوا يحبون ريح الشمال فهى ريح طيبة لأنها تأتى بالغيث ، وهى معطرة بريح الخزامى مبللة ندية ، وأنهم يكرهون ريح الجنوب ، وهى ريح الصيف ، وهى العقيم التى لا مطر فيها ولا ماء ، وهى الدبور .. وفيها كل مكروه مرذول .

ونعلم من تشبيهاتهم عاداتهم فى العبادة والتقرب إلى الأصنام بذبح الذبائح عليها وإراقة الدماء حتى تسيل على جانبيها كما قال النابغة :

تخدى بهم أدم كأن رحالها علق أريق على متون صوار

ونستشف كذلك من التشبيهات بيئات الشعراء ، وما لا قوه فى تلك البيئات من الأشياء، فعلق بمحيلاتهم ؛ فأكثروا من التشبيه بها كعدى بن زيد فى بيئة الحيرة المسيحية حيث تكثر البيع والأديرة المسيحية ، فهو يصف صور العذراء فى المحاريب ، ويشبه بها كقوله :

كدمى العاج فى المحاريب وكالبيـ ـض فى الروض زهره مستنير

وكذلك فعل شعراء العرب الملاصقون للحيرة ، أو الذين أكثروا من الرحلة فى تلك المناطق التى تكثر بها الكنائس والبيع نجد فى أشعارهم تشبيهات عديدة بدمى المحاريب ، وبالرهبان وشموعهم .

وهكذا نستطيع أن نقف على أسرار كثيرة فى حياة العرب ومظاهر نشاطهم وعقائدهم من تتبع تشبيهاتهم فى الشعر القديم .

وما نستطيع أن نستخلصه من شعر العرب فى الجاهلية نستطيعه كذلك فى شعر المحدثين فنقف على أسرار حضارتهم الزاهرة فى أقاليمهم المتعددة من بلاد فارس شرقاً إلى الأندلس والمغرب غربا . وقد تعقدت الحياة العربية ودخلتها عناصر كثيرة من حضارات مختلفة فى كل جوانبها فى التقاليد والعادات ، فى الأذواق فى الطعام والشراب واللبس والسكن ، فى السلوك والأخلاق والطباع . ونستطيع أن نقف على كثير من هذا كله بتفصيلاته من التشبيهات ويجمع الكتاب الذى نحن بصدده نماذج كثيرة .

ونضرب مثالا لما يمكن أن يكشف عنه التشبيه من بيئة الشاعر بما رواه ابن

رشيق عن ابن الرومى قال : « يحكى عن ابن الرومى أن لائمًا لامه ؛ فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدنى شيئا من قوله الذى استعجزتنى فى مثله ، فأنشده فى صفة الهلال :

فانظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال زدنى ، فأنشده :

كأن آذريونها ... والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب ... فيها بقايا غاليه

فصاح : واغوثاه ، بالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون بيته لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أى شىء أصف ؟ ، ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم منى . هل قال أحد قط أملح من قولى فى قوس الغمام :

وقد نشَّرت أيدى السحاب مطارفاً ... على الأرض دُكناً وهى خضر على الأرض
يطرزها قوس الغمام بأصفر ... على أحمر فى أخضر وسط مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقولى من قصيدة فى صفة الرقاقة :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به ... يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

قال ابن رشيق : وهذا كلام إن صح عن ابن الرومى فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛ لأن جميع ما رآه ابن المعتز قد وجده فى ديارهم ، كما ذكر أن ذلك علة الإجادة وعذر ، فقد رآه ابن الرومى هنالك أيضا ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر فى ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر طالبا الرزق أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً »[1] .

---

(١) العمدة لابن رشيق جـ ١

ومثال لما يكشفه التشبيه من عادات الناس قول ابن حمديس الأندلسى فى تشبيه الكئوس وقد ملئت خمرا وصفت بفتيات حسان يلبسن ثيابا حمراً فى عرس؛ يقول :

وكأنما صور القنانى إذا ملئت إلى لهواتها خمراً
بيض الحسان وقفن فى عرس لما لبسن غلائلا حمرا

فنعلم أن الأندلسيين كانوا يميلون إلى أن تلبس الفتيات ثيابا حمراء فى الأعراس ، على خلاف العادة عندنا الآن من لبس البياض ، ونعلم كذلك من من أخبار الأندلسيين أن البياض عندهم كان لباس الحداد .

ونعلم أن نقط العروس بدنانير الذهب عادة عربية من قول الخالدى :

حمراء حين جلتها الكأس نقطها مزاجها بدنانير من الذهب

ونقرأ تشبيه ابن رشيق للمشمش : فنعرف أن ملوك القيروان فى عصره كانت تنصب لهم خيام خضر تحف بها جلاجل . يقول :

كأنما المشمش لما بدت أشجاره وهو بها يلتهب
خضر قباب الملك حفت بها جلاجل مصقولة من ذهب

ونعلم من تشبيهات للطغرائى ، ولعلى بن ظافر؛ أن القوم كانوا يصنعون ، تأنقا قطعا من المسك فى كئوس الشراب . قال الطغرائى :

وترى شقائقه خلال رياضها أوفت مطاردها على أزهارها
وكأنها والريح تصقل خدها والسحب تملؤها بصفو قطارها
أقداح ياقوت لطاف أترعت راحاً وبات المسك حشو قرارها

وقال ابن ظافر :

أنظر إلى حسن شقيق الربا تنظر إلى ما يخجل الزهرا
من كل حمراء بها نقطة سوداء طابت بيننا نشرا
كمثل خد فوقه شامة مسودة قد أنبتت شعرا
أو قطعة المسك إذا ألقيت فى وسط كأس ملئت خمرا

ومما يدل عليه التشبيه تطور الذوق العربى بتطور الحياة وأخذ الناس بأسباب الحضارة والمدنية ، فترق مشاعرهم، وتصفو أحاسيسهم ، وتتهذب تصرفاتهم ، وتتغير نظراتهم للجمال والحسن فى الطبيعة وفى المرأة. قال ابن رشيق: « وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون إلا القليل عن مثلها استبشاعاً لها ، وإن كانت بديعة فى ذاتها ، مثل قول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك أسحل

فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة ، وهى دودة تكون فى الرمل ، وتسمى جماعتها بنات النقا ، وإياها عنى ذو الرمة بقوله :

خراعيب أمثال كأن بنانها بنات النقا تخفى مراراً وتظهر

فهى كأحسن البنان ليناً وبياضا ، وطولا ، واستواء ، ودقة وحمرة رأس ، كأنه ظفر قد أصابه حناء وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس الحضرى المولد إذا سمعت قول أبى نواس فى صفة الكأس :

تعاطيكها كف كأن بنانهـا إذا اعترضتها العين صف مدارى

أو قول على بن العباس الرومى :

سقى الله قصراً بالرصافة شاقنى بأعلاه قصرى الدلال رصافى
أشار بقضبان من الدُّرِّ قمعت بواقيت حمراً فاستباح عفافى

أو قول ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومـة أثمـارهن عقـيق

كان ذلك أحب إليها من تشبيه البنان بالدود فى بيت امرئ القيس ، وإن كان تشبيهه أشد إصابة ». وقال ابن رشيق : « وكذلك صفتهم الخمر فى حبابها بسلْخ الشُّجاع وما جرى هذا المجرى من التشبيه فإنه وإن كان مصيباً لعين الشبه، فإنه غير طيب فى النفس ، ولا مستقر على القلب ، ومن ذلك قول أبى عون الكاتب :

تلاعبها كف المزاج محبـة لها وليجرى ذات بينهما الأنس
فتزيد من تيه عليها كأنهـا غريرة خدر قد تخبطها مس

فلو أن فى هذا كل بديع لكان مقيتاً بشعاً ، ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس ؟

وكأنى أرى بعض من لا يُحْسِنُ إلاّ الاعتراض بلاحجة قدنعى علىّ هذا المذهب، وقال : رد على امرئ القيس ، ولم أفعل ، ولكنى بينت أن طريق العرب القدماء فى كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله . وقد عاب الأصمعى بين يدى الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

على أنه تشبيه لا يلحق ، ولا يشق غبار صاحبه ، ولم يجد فيه المطعن إلا بذكر السقيم ، فإنه رغب عن تشبيه المحبوبة به ، وفضل عليه قول عدى بن الرقاع العاملى :

وكأنهـا وسط النساء أعارهـا عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عَيْنِهِ سنة وليس بنائم

ومثله قول أبى محجن الثقفى فى وصف قينة :

ترفع الصوت أحيانًا وتخفضه كما يطنّ ذباب الروضة الغرِد

فأى قينة تحب أن تشبه بالذباب ؟ »[1]

وبتغيرِ الأذواق فى التشبيه نرى أكثر من ألف فى هذا الموضوع يميلون إلى تشبيهات معاصريهم أو من سبقهم بقليل ، وهكذا فعل صاحب هذا الكتاب ، لم يورد تشبيهات لقدامى الشعراء ، من الجاهلين أو المخضرمين أو من شعراءِ بنى أمية ، بل وتغاضى عن كثير من شعراء العصور العباسية الأولى .

---

(١) العمدة ١ – ٢٠٢

الكتب المؤلفة فى التشبيهات

لم يكن كتاب « غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات » أول كتاب ألف فى هذا الموضوع ، بل سبقته كتب أخرى سنعرض منها كتابين تم نشرهما ، هما : كتاب « التشبيهات » لابن أبى عون الكاتب (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ)[١] وهو بغدادى ، وكتاب « التشبيهات من أشعار أهل الأندلس » للشيخ أبى عبد الله محمد بن الكتانى [٢] .

وقد قسم مؤلف الكتاب الأول كتابه إلى اثنين وعشرين بابًا رئيسية إلى جانب أبواب ثانوية يلحقها بها يبدؤها بقوله: «ومما يتصل بذلك » . ويبدأ القول بالتشبيهات فى القرآن الكريم لأنه « كان أكمل شاهد وأصح حجة » ، وجمع مجموعة من تشبيهات العرب القدماء والمحدثين وبلغ مجموعهم ستة وسبعين وأربعمائة شاعر ، من بينهم ما يقرب من خمسين شاعراً من الجاهلية وعصر الإسلام ، وأربعون من الأمويين والباقون من الشعراء المحدثين فى العصر العباسى أمثال بشار بن برد وأبى نواس وأبى العتاهية ، وأبى تمام والبحترى وابن المعتز وابن الرومى . ودافع عن كثرة اختياراته من المحدثين بقوله : « وقد تكررت فى كتابنا تشبيهات المحدثين مثل أبى نواس وبشار ومسلم والطائى والبحترى وابن الرومى وابن المعتز وأضرابهم ؛ لأنا اعتمدنا على إثبات عيون التشبيهات المختارة والمعانى الغريبة البعيدة دون المتداولة المخلقة . والمتقدمون وإن كانوا فتحوا القول وفتحوا للمحدثين الباب ونهجوا لهم الطريق فكان لهم فضل السبق واستئثار المعانى وصعوبة الأداء فإن هؤلاء المحدثين قد أحسنوا التأمل وأصابوا التشبيه وولدوا المعانى . وزادوا على ما نقلوه ، وأغربوا فيما أبدعوا » [٣] .

وقد نبه إلى أنه لم يحص تشبيهات القدماء والمحدثين ، بل اختار من بينها ما رآه

---

(١) قام بتحقيق : الكتاب محمد معيد خان وطبع بكمبردج سنة ١٩٥٠ .
(٢) قام بتحقيقه : الدكتور إحسان عباس وطبع بدار الثقافة ببيروت سنة ١٩٦٦ .
(٣) التشبيهات لابن أبى عون ص ٧٤ .

مناسبا ، وقال إنه لو استنفد ما شَبَّهَهُ القدماء فى الناقة وسائر الحيوان، أو النساء وغيرها من الأشخاص والأشياء لطال الكتاب « وإنما قصدت إلى الاختيار مما يعتمد على السهولة والقريب دون البعيد ، والنقى اللفظ ، والمعنى الغريب ، والجيد حيث وجد قديمًا وحديثا ، والغض والنادر أين كان » .

التشبيهات من أشعار أهل الأندلس :

ويأتى الكتانى بعد ابن أبى عوف بقرن من الزمان فيؤلف هذا الكتاب فى التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، ويقسم كتابه إلى ستة وستين بابًا ، تبدأ بباب التشبيهات فى السماء والنجوم والقمرين وما يتصل بهما كالصبح والريح والبرق والرعد والسماء والمطر ، ثم يجىء الباب السادس فى مظاهر الطبيعة الأرضية كالربيع والزهر والورد ، وتغريد الطير فى الرياض ، ووصف الحمام ثم التشبيهات الواردة فى الآبار والمياه الجارية والأنهار ، والمياه الأواجن ، ثم فى القصور والبساتين والصهاريج والأشجار ، والناعورة والرحى ، ثم فى المأكولات من الفواكه وغيرها ، والشراب وأوصاف الخمر ، وصفة الكئوس والأقداح والسقاة والندامى ، ثم فى القيان والمغنين ، وفى أدوات الغناء كالعود والطنبور وسائر المعازف ، ويتبعها بباب فى الشعر على اعتبار أنه الكلام الذى يتغنى به ، ثم يخصص مجموعة من الأبواب فى الحسن عامة ، فى النساء والغلمان مقسمًا الحديث عن حسن الأعضاء ، كالشعر وسواده . وشقرته ، وفى أصداغ القيان ، وعذر الغلمان والخدود والخيلان ، وفتور العين ومرضها وغنجها ، وفى الثغر وطيب الريق وفى النهود .

وتعتبر كل تلك الأبواب فى تشبيه الأشخاص ، أو الأشياء والذوات ، يعقبها بأبواب أخر فى تشبيه الأحوال ، وخاصة أحوال المحبة ، كالحديث والعناق ، والبكاء، وخفوق القلب وطول الليل والسهر والخيال ، والطيف والنحول ، والوقوف على الديار والربوع . . .

ثم يتحدث عن أحوال الطبيعة بعد أحوال الإنسان ، فيورد التشبيهات فى النيران والشتاء والصقيع ، والسفر وما يتصل به من قطع المفاوز ، والسراب والبحر والسفن والطرد وما يتصل به ، وذكر الحيات والحرب والخيل والسيوف والرماح والقسى

والنبال والدروع والرايات والطبول ، ووصف الطعان والضراب .

وينتقل للحديث عن الكتابة والعلم ، وأدواتهما كالدواة والقلم والصحيفة والسكين والمذبة والمروحة والجلم .

ويورد التشبيهات فى الصفات النفسية كالجود والبخل وما إليهما ، وما جاء فى اللذات والطرف وأولها لذة الطعام فى الخوان والأكل ، ثم فى حديث النساء ، وما يتصل بهجو المغنيات ، وهجو الثقلاء والكذبة ، وما يتصل بالرجال كاللحى والطيلسان والدرهم .

ويختتم الكتاب بأبواب تتصل بعبر الحياة من فناء الناس وتقلب الدهر بهم ، والتشبيهات فى الشيب والهموم ، وذم الدنيا ، وذكر الموت ، وفى صفة الموتى والأجداث ، ثم فيما جاء من شواذ التشبيه .

ويقول محقق الكتاب : « إن المؤلف قد حاول أن يعرض المجالات التى اتصلت بها ملكة التصوير عند الأندلسيين سواء أخضعت لترتيب موضوعى أو لم تخضع ، وأنه أطلعنا من خلال هذه المختارات على مبلغ ما بذله الشعر الأندلسى من عناية بالصورة فى دور مبكر من تاريخه ، حتى أصبح طلب الصورة فيه غاية كبرى ، بل أصبح بعد زمن أكبر غاية »[1] .

ويتفق كتاب التشبيهات للكتانى مع كتاب ابن أبى عون فى بعض الوجوه وخاصة من حيث ترتيب الكتاب ، والاشتراك فى بعض الأبواب مثل باب «هجاء القيان »[2]. ولكنه يختلف عنه فى المنهج وفى اقتصاره على شعر الأندلسيين ، وكانت تلك النزعة غالبة على كثير من أدباء الأندلس .

---

(١) الدكتور إحسان عباس فى مقدمة التحقيق ص ١٦ .

(٢) جاء هجاء القيان فى كتاب ابن أبى عون ص ١٢٧ ، وفى كتاب الكتانى باب فى « هجو النساء والمغنيات » ص ٢٥٧ .

صفة المخطوطة المحققة

اعتمدنا فى تحقيق كتاب «غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات» على النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة بالإسكوريال والمصورة بمعهد المخطوطات العربية .

وتبدأ النسخة بتعليقات على الصفحة الأولى بخط مغربى .

والنسخة مكتوبة بخط النسخ المنقوط المضبوط بالشكل ، ورقمت أوراقها بأرقام إفرنجية تبدأ من رقم ١ إلى رقم ٨٤ فى تسلسل غير منقطع ، فتكون عدة صفحات النسخة ثمانيا وستين ومائة صحيفة .

ومسطرتها من ستة عشر إلى سبعة عشر سطراً فى الصحيفة ، وعدد كلمات السطر من ٧ إلى عشر كلمات .

ووقع بها خرم أتى على جزء كبير من الصفحات بين صفحتى ٧٢ ا و٧٢ ب فى بابى الغزل والتشبيهات المختلفة ، وهما البابان الأخيران فى الكتاب رقم ٥ ، ٦ .

ويبدو أن بعضا من أوراق الكتاب المفقودة كانت متآكلة أو دشتاً فى أثناء فهرسة الكتاب لوجود صفحة فى آخر النسخة المصورة أمكن قراءة بعض كلماتها المتآكلة ، والتى تدل أنها من باب الغزل جاء فيها :

ولبعضهم فى العذار

ثم يعقبها ببيتين من الشعر لم يمكن قراءتهما قراءة صحيحة .

وختم الناسخ الكتاب بقوله: «بلغ مقابلته بأصله وصح بصحته» . والخط واضح لولا وجود كثير من الأخطاء النحوية والإملائية .

ويبدأ الكتاب بمقدمة ، وإهداء يهدى به على بن ظافر كتابه إلى الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف بن أيوب . يقول : «وقال على بن ظافر الأزدى ثم الخزرجى : لم أزل فى كل زمان ومكان أسمع من أوصاف المآثر الملكية الأفضلية ، والمناقب النورية السلطانية . . إلخ» ويورد فى الكتاب بعد الإهداء مباشرة قصيدة مديح فى الأفضل يوم الأحد الموافق لخمس خلون من جمادى

الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وعسكر السلطان صلاح الدين على حصار عكا .

ويبدأ الكتاب بمقدمة أخرى يقول فى أولها : « أما بعد حمد الله العزيز القهار عالم خفايا الأسرار . . . إلخ » ويختمها بتقسيم الكتاب إلى ستة أبواب رئيسية هى :

الأول — فى تشبيه الأجرام العلوية .
الثانى — فى تشبيه المياه والأنهار .
الثالث — فى تشبيه الأنوار والأثمار والنبات .
الرابع — فى التشبيه الواقع فى الخمريات .
الخامس — فى التشبيه الواقع فى الغزل .
السادس — فى تشبيهات مختلفة .

وينقسم كل باب بعد ذلك إلى فصول تتراوح بين خمسة وعشرة .

فالباب الأول فى الأجرام العلوية وينقسم إلى عشرة فصول : فى ذكر التشبيه الواقع فى الهلال وفى الثريا ، وفى سائر النجوم ، وفى القمر عند انتصافه وكماله ، وفى حالاته المختلفة ، وفى وصف القمر ووصف صوره على الماء ، ثم يعدل إلى ذكر التشبيه المستحسن فى ضوء الشمس على الماء ، ويعود مرة أخرى للتشبيهات فى الثريا فى الفصل السابع ، ثم فى سائر النجوم مرة ثانية أيضا ، ويخرج إلى التشبيهات فى قوس قزح والثلج والبرق والغمام فى الفصل الثامن ، والفصل التاسع فى تشبيه المجرة ، والعاشر فى تشبيه الصبح .

ونلاحظ عدم انتظامه فى الحديث عن كل موضوع يتطرق له ، إذ يكرر الحديث فى الثريا والنجوم ، وفى التشبيهات الواقعة فى القمر والهلال .

والباب الثانى متعلق بمظاهر الطبيعة على الأرض ، ويدور فى التشبيهات الواقعة فى المياه والأنهار والغدران ، وينقسم هذا الباب إلى خمسة فصول ، الأول فيما قيل فى الأنهار ، والثانى فى الأنهار الهادئة والغدران الساكنة ، والثالث فى حركة المياه ويشمل التشبيه الواقع فى تغير ماء الأنهار بالمدود ، والرابع فى تشبيهات عامة متصلة بالموضوع ، والخامس فى تشبيه الفوارات وما شابهها .

والباب الثالث فى ثلاثة فصـــول تتعلق بالتشبيهات الواقعـــة فى الأول فى الأزهـــار ، بادئاً بالنرجس ثم الـــورد بألوانه ، وأطال فيما أورده من التشبيهات المتصلة بالنرجس كثيراً عن الورد مما يوحى بأنه يقدمه على سائر الزهور . ونلاحظ كذلك أنه ختم آخر تشبيهاته فى حسن الورد بتشبيه فى ذمه. ثم التشبيهات فى الجلنار ، والبنفسج ، والسوسن ، والآذريون، والخرم ، والمنثور والخيرى بألوانه ، والياسمين ، والنيلوفر ، والريحان ، وشقائق النعمان ، وزهر الباقلاء ، والحماحم والأقحوان، والبهار ، والآس .

ونلاحظ فى هذا الباب اضطراباً كما هو الحال فى الباب الأول ، فقد كرر القول فى الشقائق وغيرها ، إذ يتحدث عن الشقائق ، ثم يخرج منها إلى القول فى زهر الباقلاء ، ثم يعود للشقائق مرة أخرى ، وربما كان هذا الاضطراب راجعاً إلى الناسخ ، أو اختلاط أوراق النسخة عند ترتيبها .

ويذكر فى الفصل الثانى التشبيه الواقع فى الثمار كالأترج والنارنج ، والتفاح واللفاح والعنب والخوخ ، والطلع والمشمش ، والبسر ، والتمر والجمار ، والموز ، والرمان ، والسفرجل والكمثرى والتين ، والنبق ، والتوت ، واللوز الأخضر ، واليربوج (البرقوق) .

والفصل الثالث فى سائر النبات والأنقال ، كالبطيخ والعناب ، والصنوبر ، والفستق ، والجوز ، والقسطل (الكستناء) ، والفول المصلوق ، والباذنجان ، والخشخاش ، وزهر الكتان والسلجم ، وسنابل القمح ، والبر .

والباب الرابع فى الخمريات وفيه خمسة فصول ، الأول فى تشبيه الكأس بعد المزج ، والثانى فى الساقى ، والثالث فى الإبريق والكأس ، والرابع فى الشراب الأسود ، والخامس فى تشبيه ضوء الخمر .

والباب الخامس فى التشبيه الواقع فى الغزل ، والفصل الأول فى الثغور والشفاه ، وبعد صفحة من بدء الباب يحدث الخرم .

ثم يدخل الخرم إلى الباب السادس فى تشبيهات مختلفة ، ويبدأ الحديث فى الفصل الرابع من هذا الباب فى التشبيهات الواقعة فى الطعام والمائدة ، وما يتصل بهما . وبعد .

والخامس فيما قيل فى الرّاى الطرى ، والسادس فى تشبيه أنواع من المآكل ، والسابع فى جملة من التشبيهات فى أرباب الصناعات ، والثامن فى الحيوانات كالفرس والغزلان ، والزرافة والفيل والطاووس والأوز ، وبنات وردان ، والبق والبراغيث . والفصل التاسع فى آلات الحرب كالسيف والترس والدرع والرماح . والعاشر فى تشبيهات متنوعة ، فى زامرة سوداء ، وأهرام مصر ، ودولاب الماء وما إلى ذلك ، مما يقع تحت باب من أبوابه السابقة .

وينتهى الكتاب بأبيات ، وخاتمة نثرية يوجهها للأفضل راجياً أن يقع الكتاب عنده موقعاً طيباً ، وأن يجزيه عليه الجزاء الحسن .

ونلاحظ أن مختارات ابن الظافر من الشعر قد غلب عليها شعر المحدثين والمعاصرين له من شعراء مصر والشام والعراق والأندلس والمغرب . وذكر كثيراً من شعراء اليتيمة مشارقة ومغاربة ، واستعان بما أورده الثعالبى فيها من أشعارهم ، كما اعتمد على خريدة القصر للعماد الأصبهانى ، والرسالة المصرية لابن أبى الصلت . واهتم اهتماماً خاصًا بالأندلسيين والمصريين والمغاربة ، وجمع مختارات من شعرائهم لا توجد فى كثير مما بين أيدينا من المصادر كمختاراته من شعر ابن رشيق القيروانى ، وشعر ظافر الحداد المصرى ، وابن قلاقس الإسكندرى . بل إن بعض مختاراته من الشعراء الذين طبعت دواوينهم لم نعثر عليها فى تلك الدواوين كبعض مختاراته من ابن الرومى وابن المعتز .

وجمع إلى هؤلاء الشعراء المذكورين مختارات من شعر جماعة من الشعراء المجهولين الذين لم نستطع التعرف عليهم ، على كثرة ما رجعنا إليه من المراجع والمظان ، وإن كانوا فى ظننا لا يتعدون دائرة القرنين الخامس والسادس . ويغلب أنهم لم يكونوا شعراء محترفين أصحاب دواوين ؛ إنما يقولون الشعر تظرفا وتملحا ، فى مقطوعات على البادرة من مثل ما جمعه المؤلف نفسه فى كتابه الثانى : « بدائع البدائه » .

ولم يكن ابن ظافر دائمًا موفقًا فى اختياراته ، بل ربما جافاه الذوق أحيانا كاختياره تشبيه ابن خفاجه فى التين :

وقد سال من فمه شَهْدُهُ كما سال ريق حبيب نَعِس

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين الاخيار ثم اما بعد
فان كل اوان وزمان اسمع من اوصاف الماثر للملك
الافضليه والمناقب الوفيره السلطانيه ما تاج به
مفرق العصر والحاضر وتفتخر به البلاد والحاضر وانا هذا
من اناء ما ينى عليه الفخر ويتعجب من صدوره
من يحصر تالفت فيه العناصر تاكاد اطيف الى نال
الحضره من السوق وبهم عمره المتوقان يتبعه
الصوت حتى اتفق لى ان مثلت بالحضره الناصريه
حلد الله ملكها الملك وملكه الخلد وامتد
العلو واعلى له الامر لعزمه كان غنى مهمات
القلب مضاها وحلمه فى نفس يعقوب قضاها
فحللت بمقامه الاسمى مادحا وبرلت على وجه
فضله الماسته بمادحا فملئت بحبه نضر وجهه
مدى لاعى النظر الى الثناء وجود اخر ما لا يحاج
واردة الى تطويل الى ان حملنا لا عجل رياح الصبح
وعرفنا لا يتغنى على صوتها الهزج
فعرفت لما

لما حللت بجنابه سترت الغبر ولما القينا صدانا الجبر
الجبر واهدبت الى جنابه الاسمى نصر الله عزه واعز
نصره وقدر علوه واعلى قدره لحف مباعى العمر
وصايدى المسرة به بحيه الزهر وغمر الهموم الدهر
وحلت مقامه هذا الكتاب الذى ما اظن
بركة انتحاله فيما سلف من الزمن ولا اظن
ان الحد انتجع منه فيما بعد وان من يغبان فلت
فلذ هذه القصيده واودعتها نوعا من جلس
ما اودعته فيه من غرب المستنه ورقعتها صنعه
يوم الاحد خمس خلون من شهر جمادى الاخره سنه
سبع وثمانين وخمسمايه بالعسكر المنصور على
بلد المجامع عكا وبنى فى وصفه المعسكر
طرنا الى المعسكر بالشام ومنبج الحمان الحيام
كان لم رض اذ ذى اداما حكت نعامها بنفر النعام
ولا احتمته السلطان فيما نحن فيه من عماء
حلت وتطى من الناقه ما بد وامثل اللالى فى اتحاد
تعلى ربوه ستور بنيت المشقان وحز لاج من الخمام

وقد حققنا معظم الأعلام الواردة فى الكتاب مع الإشارة فى الهوامش إلى مصادر الترجمة لكل علم وكذلك الحال فى الشعر . وفاتتنا بعض الأعلام التى لم نعثر على ترجمة لها على كثرة ما بذلنا فى سبيل التعرف عليها ، وفاتتنا كذلك بعض النصوص الشعرية لم نتعرف عل مصادر لها ولم نعثر عليها لتتم المطابقة .

وقمنا بشرح غريب الألفاظ دون المستعمل المطروق ، وحرصنا ما استطعنا على بيان معانى الأسماء الكثيرة الواردة فى الكتاب للفاكهة والورود والأطعمة والأشربة والملابس والاصطلاحات الفلكية وأسماء النجوم والبروج .

وضبطنا بالشكل النصوص والأعلام ، وذلك حتى يكون الكتاب ميسور القراءة ميسور الفهم للقارئ المعاصر .

وقمنا إتمامًا للفائدة بعمل فهارس تفصيلية للأعلام ، ومصطلحات الحضارة ، وأسماء الملابس والمطاعم والمشارب التى وردت بالكتاب .

غرائب التنبيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيدنا محمد

قال على بن ظافر الأَزدى ثم الخزرجى : لم أَزل فى كل أَوان وزمان أَسمع من أَوصاف المآثر الملكية الأَفضلية ، والمناقب النورية السلطانية ، ما تتأَرج بذكره المحاضر ، ويفتتن به البادى والحاضر ، وأُشاهد من آثاره ما تثنى عليه الخناصر ، ويعجب من صدوره من شخص تألَّفت عليه العناصر ، فأَكاد أَطير إلى تلك الحضرة من الشوق ، ويهم عمرو للتوق أَن يشب عن الطوق . حتى اتفق لى أَن مثلت الحضرة الناصرية ، خلد الله لمالكها الملك ، وملكه الخلد ، وأَمدّه العلوّ ، وأَعلى له الأَمر ، لعزمة كانت من مهمات القلب أَمضاها ، وحاجة فى نفس يعقوب قضاها ، فحللت بمقامه الأَسمى مادحاً ، ونزلت على دوحة فضله الباسقة صادحاً ، فرأَيت مجدًا تقصر دونه مدى بلاغتى النظم والإنشاء ، وجودًا خضرماً لا يحتاج وارده إلى تطويل الرشاء ، وحلماً لا تجلجله رياح الغضب ، وعزماً لا تدّعيه على صولتها القضب ، فاخضرّت لما حللت بجنابه سِنِىّ الغُبْرُ ، ولما التقينا صَدَّق الخَبر الخُبر : وأَهديت إلى جنابه الأَسمى ـ نصر الله عزه وأَعز نصره وقدّر علوه ، وأَعلى قدره ـ تُحف مدائحى الغر ، وقصائدى المزرية ببهجة الزهر ، وغمرت النجوم الزهر . وخدمت مقامه بهذا الكتاب ، الذى ما أَظن قريحة أَتت بمثاله فيما سلف من الزمن ، ولا أَظن أَن أَحدًا يجمع مثله فيما بعد . وأَين من بعد أَن قدمت قبله هذه القصيدة ، وأَودعتها نوعاً من جنس ما أَودعته فيه من غريب التشبيه ، ورفعتها صحبته يوم الأَحد لخمس خلون

من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة بالعسكر المنصور على تل الحجل بمرج عكا وهى فى صفة العسكر [١] :

طَربتُ إلى المُعَسْكَر بالشآمِ ... ومَشْيِى بين أَطْنَابِ الخِيَام
لدى بيضٍ قوادِمُهُنَّ تَهْفُو ... تلوحُ لناظرى مثلَ الحَمَام
كأَنَّ الأَرضَ أُدْحِىٌّ إِذَا مـــا ... حَكَتْ بِخِيامها بيضَ النَّعَام
ولاحتْ خيْمةُ السلطانِ فيها ... بحُمْرتِها كبرْقٍ فى غَمام
حكتْ وُسْطَى من الياقوتِ لمَّا ... بَدَوْا مثلَ اللآلِئ فى انْتِظَام
فتَحكِى ربْوةً سُتِرتْ بنَبْتِ الشَّـ ... ـمَائِقِ حين لاح من الكُمَـــام
عجبتُ لها ترَى الآسادَ تُبْدِى الـ ... ـخُضُوعَ بها لوافِرةِ السَّنَام
إذا اصْطَفَّتْ ظِباءُ التُّرْك فيها ... جفَوْتَ لِحُسْنِهِمْ كُلَّ الأَنَام
وإنْ شَبَّهْتَ مالِكها بليثٍ ... عجِبْتَ لأنسِ غزلانٍ قِيام
وكمْ بدرٍ بأُفْقِ قِباهُ يسْرِى ... يُجرِّرُ ذَيْلَ شَعْرٍ كالظَّـــلام [٢]
وَيطْعنُ كُلَّ قلْبٍ من هَواهُ ... سنانٌ جاءَ من رُمْحِ القَوامِ
ولونُ عِذارِه المخْضَرِّ أَضْحَى ... لحُمْرةِ خَدِّهِ مثلَ الفِـــدَام [٣]
يَخُطُّ لعَاشِقيه «لا وِصَالٌ» ... أَلم تَنْظُرْ إلى أَلف ولاَمِ
وإن جاءَ القتالُ رأَيتَ يوم الـ ... ـرُّكُوب من الأَعاجِيبِ العِظَامِ
فكم شمسٍ تَجُرُّ هِلالَ قَوْسٍ ... فَتُرسِلُ مُحْرِقاً شُهْبَ السِّهامِ
وكم فى النقع ظبى فوق طِرْف [٤] ... كبدر فوقَ برق فى ظَلامِ

---

(١) فى السلوك للمقريزى حـ ١ القسم الأول ص ١٠٥ تفاصيل الحرب السجال بين المسلمين وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين الأيوبى وبين الفرنجة فى سبيل فتح عكا، وذلك فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

(٢) قباه = قباءه – والقباء : العباءة .

(٣) الفدام : خرقة توضع على فم الإبريق لتصفية الخمر .

(٤) الطرف : الحصان الكريم الأصيل . والعذار : شعر العارض .

وكم من مِغْفَر من فوقِ خَدٍّ ... بَهِيٍّ كالحَبَابِ على المُدَامِ[١]

وكم يَهْتَزُّ فيه غديرُ دِرْعٍ ... يُسَقِّى غُصْنَ بانٍ من قَوَام

وصَوْتُ الكُوس لا تنساهُ رَعْدٌ ... له قَطْرٌ من النُّشَّابِ هَـام[٢]

ويقْطَعُ مرْج عكًّا كُلُّ طلْبٍ ... كَرَضْوَى حِينَ يَطْلُعُ أَو شَمَامِ[٣]

ويبدو المرْجُ والرَّايات صُفْرٌ ... تُحاكى لوْنَه غِبَّ الغَمَامِ

ترى حمْرَ البيارِقِ فيه تُبْدِى ... عَجَاجاً كالدُّخَانِ على الضِّرامِ[٤]

وإنْ صُفْرٌ بدَتْ لَكَ فى عَجَاجٍ ... رأَيتَ التِّبْر يَسْكُنُ فى الرَّغَام[٥]

ووقتَ الزَّحْفِ تَنْظُر كُلَّ ليْثٍ ... لديهِ سيفُه كالنَّابِ دَام

إذا ما قَالَ كمْ حَطَّمْت أَلْفاً ... فإن القَوْلَ ما قَالتْ حَذَامِ[٦]

ويُعْذَرُ رُمْحُهُ إنْ ماسَ سُكْرًا ... أَلمْ يكْرَعْ من الدَّم فى مُدَام[٧]

وعكا قد حَكَتْ بِكْرًا شَمُوساً ... تسُدُّ ففتْحُها صَعْبُ المَرامِ[٨]

وخَنْدقُ عَسْكَرِ الإفْرِنْجِ يحكى ... عليه الخَيْلُ دُرًّا فِى نِظَامِ

تراهُ خَلْفَه الكُومانُ يَبْدُو ... كمِنْطَقَة عَلَتْ رِدْفَىْ غُلامِ[٩]

وخيلُ الشِّرْكِ تركضُ خَلْفَهُ فى ... ذُيولِ خِيامِهِنَّ علىَ الدَّوَامِ

---

(١) المغفر : زرد يلبسه المحارب تحت البيضة (الخوذة) . والحباب فقاقيع الخمر .

(٢) النشاب : النبل والسهام ، وهام : متساقط .

(٣) المرج : الأرض الخضراء الواسعة المليئة بالنبات ، ورضوى وشمام جبلان .

(٤) البيارق جمع بيرق وهو اللواء أو الراية . والعجاج التراب المتصاعد والغبار ، والضرام النار المشتعلة .

(٥) الرغام : بالفتح ؛ التراب .

(٦) عجز بيت مشهور هو :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

وهو مثل مشهور يضرب فى تصديق الرجل صاحبه ، وحذام امرأة .

(٧) يكرع الشرب بشره .

(٨) شموس : متمنعة .

(٩) الكومان الكثبان ، والمنطقة : الزنار (الحزام) .

يُثِرْن إذا ركَضْنَ عليهِ نقْعاً ... بلا فِعْلٍ حكَى سُحْبَ الجَهَامِ[١]

وكم مسْتَأْمن قذْ فَرَّ مِنْهُمْ ... لأَجْلِ الجُوعِ أَوْ طُولِ المُقَامِ

وكمْ مِن فارس منْهم قَتِيلاً ... ولا قبرٌ لهُ غيرُ القَتَـــام[٢]

إذا قَصْفُ الرماح عليه لاحَتْ ... بدا مثلَ الحَرِيصِ على الحُطام

أَظنُّ اللهَ ما أَفناهُ إلاَّ ... بِسيْفِ علىٍّ المَلِكِ الهُمام[٣]

هو المَلكُ الجسيمُ البأْسِ أَضْحَى ... يقارنُه مع النِّعم الجِسَام

هو البدرُ الذى ما زال يُدْنى ... شهاب الرمحِ أَو بَرْق الحُسامِ

تراه سافراً فى الحرْبِ لكنْ ... يلوحُ من العَجَاجةِ فى لِثَام

إذا زُفَّتْ إليه عرُوسُ حربٍ ... جَفَا فى وصْلِها طِيبَ المَنام

وَسُوءُدُدُ نفْسِهِ ما زال يُزْرِى ... بما قد جازَ منه على عِصامِ[٤]

أَيا مَلِكَ المُلوك ولا أُحَاشِى ... ويا خير الأَنام ولا أُحامِى

عَجِبْتُ لِنَار عزْمِكَ كيفَ تَبْقَى ... ولا تُطْفَى وبحرُ نَداكَ طَامِى

وأعجبُ منه أَمْنُ النَّاسِ لمَّا ... رأَوْكَ وأَنتَ كالَّليثِ المُحَامى

يحُلُّ الدرُّ فى الحَصْباءِ قَدْرًا ... مَحلَّك إذْ تُضَافُ إلى الكِرامِ

ومن سوَّاكَ فضْلاً مع مليكٍ ... كمَنْ سَوَّى الحُسَام معَ الكَهَام[٥]

وهل نجْمُ السُّها فى الجَوِّ نُورًا ... يقاسُ ببهجَةِ البَدْرِ التَّمام

وقد سيَّرتُ نحوكَ بِنْتَ فكرى ... عروساً ما تُزفُّ إلى اللِّثام

لقد وَشَّحْتُها بحُلَى المعَانى ... كما أَلْبَسْتُهَا حُلَلَ الكَلام

---

(١) النقع : الغبار المتصاعد من الركض ، والجهام : السحاب غير الممطر .

(٢) القتام : التراب .

(٣) على : هو على بن يوسف الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبى .

(٤) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاماً ... وعلمته الكر والإقدامَا

(٥) الحسام : طع السيف القا والكهام السيف غير القاطع

وقد أَتْبعْتُها أَيضاً كِتاباً بعثْتُ بهِ إلى الهِمَمِ السَّوَامِي
أَتى ليسُوقَ لِي سُحْبَ العَطَايا كفِعلِ الرِّيح بالغيْثِ الرِّهَام[1]
فعَجِّلْ لِي بُجودِكَ ياملِيكَ الـ أَنامِ فقد أَطلْتُ له مُقَامِي
ودُونَك فَاستَمِعْ سِحْرًا حلالاً أَتى يُلهِي عن السِّحْر الحَرام
فخيرُ الشِّعر أَكرمُه رجالًا وشرُّ الشِّعر أَقوالُ الطَّغَام[2]
وعِش لا زِلْتَ مُجْتَنَب الرَّزايَا ودُمْ لا زِلْتَ مرْعِيَّ الذِّمام

بسم الله الرحمن الرحيم . عونك اللهم .

أما بعد حمداً لله العزيزِ القهار ، عالمِ خفايا الأَسرار ، وبوادى الأَجْهار المنزَّهِ غيبُه عن الإشهار والإظهار ، مقدِّر كلِّ ما يحدث فى سواد الليل وبياض النهار المتكفل للإسلام بأَعلى المنار ، المؤلف بين قلوب أَهله فأَصبحوا بنعمته إخواناً ، بعد أَن كانوا على شفا جرُف من النار ، الذى لا ينجو مما قدَّرَهُ دان ولا عال ، ولا يحصن مما يريده سهولُ الظِّباءِ ولا أَوْعارُ الأَوعال . أَشهد أَنَّه لا إله إلا هو الكبيرُ المتعال ، والصلاة على محمد نبيه وعبده ، وعلى أَصحابه الذين هم أَفضل الخلق من بعده ، فإن الأَرض لما أَخذت زخرفها وازيَّنتْ ، وظهرت علامات سعدِها وتبينتْ ، وتسلمت من الخطوب كتاب أَمانها ، وعاد ربيعاً كلُّ زمانها ، وتحلت بعقود من جواهر زَهْرها النَّضِر ، وطال عمر ربيعها الخَضِر ، وأصحبت لأَهلها بعد أَن طالت شراستها ، ولانت لأَربابها لما حسنت سياستها ، ووصلت لأَرباب الفضائل وكانت هجرت ، وهب عليهم نسيم أَصائلها بعد أَن هجرت ، ويسرت عليهم أُمورَهم وكانتْ عَسُرَت ، وأَطلقتهم من وَثَاقِ الفقر بعد

(١) الرهام : المطر الخفيف
(٢) الطغام : أوغاد الناس وسفلتهم

أن قسرتْ وأَسَرتْ ، وجبرتْهُمْ من صَدْعِ النوائِب حين حطمتْ وكسرتْ ، وسكَّنَت عنهمْ بِحَار الخُطُوبِ بعد أن طمَتْ ، وأوقفت دونهم رياحَ الفِتَن بعد أن حطَّمتْ . وعادت مَحجَّتُها بيضَاءَ من الحَقِّ وكانتْ سوداءَ من البَاطِل ، وأَوفتْ أَهلَ الفضْلِ ديونَهُم ، وكم أَوفتْ على الغَرِيرِ المماطِلِ بما شَمِلَها من أَيَّامِ مولانا السُّلْطَانِ العادِلِ ، المَلِكِ النَّاصِرِ صلاح الدنيا والدين ، منقذِ بيت الله المقدَّس من الكفرة المشركين ، أَبي المظفر يوسف ابن أَيوب ، محيي دولة أَمير المؤمنين ، الذى ملكها فما جار بل عدل ، وسلكها فما حاد عن طريق الحق ولا عدَل . وأَثارت رياح عزائمه سحابَ جوده وسُرَّتْ الدنيا وسائرُ أَهلها بوجوده ، وأَحيا طللَ المجد بعد أَن كان داثرًا ، وشعر بفضله فأَضحى بسيفه ورمحه للبرود والرءوس من الكماة ناظماً وناثرًا . ونجله الملكُ الأَفضل العالم العادل ، المجاهد المرابط. المؤيد المظفر، المنصور، نور الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل فى العالمين ، منصف المظلوم من الظالمين ، قامع الكفرة والمشركين، قاهر الخوارج والمتمردين قسيم الدولة ، فخر الأُمة مجير الملة ، ناصر أَمير المؤمنين ، الذى سرت مآثره شهباً فى ظلمات الخطوب ، وظهرت مكارمه بشْرًا فى وجه الزمان بعد كثرة القُطُوب ، وأَدْلَجَتْ بناتُ الأَفكار فى ليلِ الغَرائِبِ إليه ؛ فحمدَتْ عند الصباح وجهَ السُّرى ، وأَقسم الزمان بأَن نظير مجده ما رآه ، ولا يُرى .

وإذا نَظَرْتَ إليه قُلْتَ كأَنَّهُ بدرُ الدُّجَى إن لاحَ أَو ليثُ الشَّرَى

فلله هو من ملك ما أَوسعَ صدرَه وأَفسحهُ ، وأَعذب لفظَهُ وأَفصحَهُ ، وأَمنعَ جاهَهُ وأَحصَنَهُ ، وأَجملَ أَدبَه وأَحْسَنَهُ ، وأَسحَّ جُوده وأَمْطَرُه، وأَطْيب ذِكرهُ وأَعْطَرُهُ . إن ذَكَرْتَ الكَرَمَ فهو أُسُه وخَاتِمه ، وإنْ ذكرتَ المجْدَ فهو فاتِحُه وخَاتِمُه ، أَو وصف البأْسُ فعنترةُ فيه خادمه . قد اختالت به

الأَندية والمحافل ، وزهت به الكتائب والجحافل ، وازدانت به الطروس والأَقلام ، وارتاحتْ له البنودُ والأَعلام ، فَوجَبَ على من شملته حاشِيتَا دولتهِ ، وضمته حسنُ إيالته ؛ أَن يبذُل جهدَه فى الخِدْمةِ بما تصل قدرته إليه ، ويرجو به حسن الزُّلفى لديْه .

ولما كان المملوك ممن يشرف بوَطْءِ البِساطِ الكريم ، ويميَّزُ بانتِسابِه إلى المَقامِ العَظيم تأَكد الوجوبُ عليه فى توالى ما يخدم به من خدَمه ، وتعيَّن له ذلِك لأَن يلتحق بمن اشتهر بأَولويتِه فى الخدمةِ وقدمه ، فنظر فيما يخدم به الجناب الأَسمى ـ زاده الله سموًّا وعلوًّا ـ فوجد فن التشبيه بين الأَشعار عالى القدر ، نابه الذكر ، لا يمكن كل الناس سلوك جادته ، ولا يقدر إلا اليسير منهم على إجادته ، حتى استهوله أَكثر الشعراء واستصعبه ، وأَبى بعضهم أَن يجهد بأَن يروض مصعبه ، وقالوا إذا قال الشاعر « كأَن » فقد ظهر فضله أَو جهله ، ولم يجد أَحدًا من المؤلفين ولا مصنفاً من المصنفين اشتغل بتمييز ذهبه عن مدره ، ولا خاض فى بحاره لا ستخراج درره ، ولا انتقى خُلاصةً من خبثه ولا فصل جده من عبثه ، فاختار هذا المجموع ـ شهد الله ـ من أَكثر من خمس عشرة أَلف ورقة ، وجمع فيه جُملا من غَرائِبِ أَبياتِه ، ومعجِزاتِ آياته ، ليكون أُنْساً للمجلِسِ الأَسمى فى هذا الوقت وأَمثاله ، وطليعةً لما بعده مما يرد عليه الأَمر باقتفاء مثاله ، واختصره غاية الاختصار ، واقتصر على المحاسن أَشد الاقتصار لمعرفته باشتغال المجلس الأَسمى بتدبير الكتائب ، وتجهيز العساكر والمقانب ، وحسن القيام بإيالة الخلائق ، وتعلقه من أَمر الحروب بأَشد العلائق . والمملوك يستعين بالله تعالى ويسأَله أَن يرزقه من المجلس موافقة الغرض ويقويه من الخدمة على أَداء المفترض .

وهذا حين نبتدئ مستعيناً بالله، ومتوكلا عليه، راغباً فى العصمة من الغلط إليه ، بعد تسمية الكتاب وتبويبه ، وتنميق مقصده وترتيبه . أما الاسم : «فغرائب التنْبيهات على عجائب التشبيهات» ، ومقصود الكتاب ينحصر فى ستة أبواب :

الباب الأول : فى تشبيهِ الأَجرام العُلْوية .

الباب الثانى : فى تشبيه المياه والأَنهار .

الباب الثالث : فى تشبيه الأَنوار والأَثْمار والنبات .

الباب الرابع : فى التشبيه الواقع فى الخمريات .

الباب الخامس : فى التشبيه الواقع فى الغزل .

الباب السادس : فى تشبيهات مختلفة .

الباب الأول

تشبيه الأجرام العلوية
وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

فى ذكر التشبيه الواقع فى الهلال

من أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز من مزدوجته [1] :

وقد بدتْ فوقَ الهلالِ كُرتُهُ كَهامةِ الأَسْودِ شَابتْ لِحْيتُهْ

وكذلك قولُه [2] :

أَهْلاً بِفِطْرٍ قد أَنَار هِلاَلُهُ الآنَ فاغْدُعلى الشَّرَابِ وبَكِّرِ [3]

وانظر إليهِ كزوْرقٍ من فِضَّة قد أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ من عنْبَرِ

وأَخذ هذا المعنى ظافرُ الحداد [4] فقال من قطعة :

والجَوُّ منْ شَفَقِ الغُرُوبِ مُفَروَزٌ كَحدِيقَةٍ حُفَّتْ بورْدٍ أَحْمَر

وبدَا الهلالُ لِلَيْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ فِتْرٌ حوى تُفَّاحَةً من عنْبرِ

وأَخذ ابن قلاقس [5] قول ابن المعتز وزاد عليه زيادة من قبل الصنعة فقال [6] :

أُنْظُرْ إلى الشمْسِ فوقَ النِّيلِ غَارِبةً وانْظُرْ لِمَا بعدَها من حُمْرةِ الشَّفَقِ

---

(١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٩ .

(٢) الديوان ص ٣١٣ .

(٣) ورواية الديوان لعجز البيت « فالآن فاغد إلى المدام » .

(٤) من الشعراء المصريين المجيدين . ذكر ابن خلكان أن له ديوان شعر أكثره جيد ، ومدح جماعة من المصريين (الفاطميين) ، وروى له الحافظ السلفى فى معجمه شعرا . وتوفى سنة ٥٢٨ هـ . على خلاف بين هذا العام وعام ٥٢٩ ، بينما يجعل ابن تغرى بردى وفاته سنة ٥٦٣ هـ .

(٥) الشاعر السكندرى (ولد سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفى سنة ٥٦٧ هـ بعيذاب غريقا) ، وله ديوان شعر مطبوع .

(٦) ديون ابن قلاقس ص ٧٥ ، وبدائع البدائه ص ١٣٧ .

غابتْ وأبقَتْ شُعَاعاً منهُ يَخْلُفُها كأَنَّما احْترقَتْ بالماءِ فى الغَرقِ[١]
وللْهِلالِ فهلْ وافَى لِيُنقِذَها فى إثرِها زورقٌ قدْ صِيغَ من وَرَق

ومن هذا الإعجاز قول أبى منصور الديلمى أنشده الثعالبى فى تتمة اليتيمة[٢] :

وحاكى هلالُ الأُفقِ فى أَعْيُنِ الوَرى مِراةً تَبدَّى بعْضُها مِن إهَابِها

ومما ينسب إلى ابن المعتز هذه الأبيات[٣] :

قم فاسقنى الخَمْرَ يانَدِيمِى فإنه آفةُ الهُمُــومِ
فقد تَبَدَّى هِلالُ شَهْرٍ قُدُومُــه أَيْمَنُ القُدُومِ
كأَنَّهُ فى السَّمَاءِ فَخٌّ ينْتَظِرُ الصَّيْدَ لِلنُّجُومِ

وزاد عليه القاضى التنوخى[٤] فقال :

اسقنى واسْقِ صَاحِبِى بأَكُفٍّ الكَــواعِبِ
من مُــدامٍ مزَجْتُهــا بدُمــوعِ السَّحَائِبِ
والهــلالُ الذى يَلُو حُ خِلالَ السَّحائِبِ
مثل فخٍّ من اللُجَ يْنِ لصيدِ الكَواكِبِ

وقال أبو بكر الخالدى[٥] وقَصَّرَ :

رُبَّ ليل فَضَحْتُهُ بِضياءِ الـ رَّاحِ حتَّى تَركْتُهُ كالنَّهارِ

---

(١) ديوان بن قلاقس « وأبدت » .
(٢) والبيت ليس باليتيمة المطبوعة ، ولم نعثر على ترجمة للشاعر .
(٣) هذه الأبيات غير مذكورة بديوان ابن المعتز المطبوع .
(٤) القاضى التنوخى من شعراء القرن السادس المشهورين بالإكثار من البديع فى الشعر .
(٥) يسمى هو وأخوه أبو عثمان وسعيد « الخالديان » ، وقد برعا فى الأدب والشعر وكانا يشتركان فى نظم الشعر وينفردان «ولايكادان فى الحضر والسفر يفترقان » . راجع ترجمتهما فى اليتيمة للثعالبى . وهما من رجال القرن الرابع الهجرى .

ذى سماءٍ كَخُزَّم[١] ونُجُوم مُشْرِقات كنرْجس وبَهَارِ
وهِلالٍ يلُوحُ فى ساعِدِ الغرْ بِ كدُبُّوسِ فضَّة أَو سِوَارِ

وأجودُ منه قول الأَمير تميم ، وإن كان مأْخوذًا منه[٢] :

رُبَّ صفْراءَ عَلَّلتْنِى بِصفْرَا ءَ وجُنْحُ الدُّجَى خَلِيعُ الإِزارِ
وَكأَنَّ الدُّجَى غَدَائرُ شَعْرٍ وَكَأَنَّ النُّجُومَ فيه مدَارِى
وانْجَلَى الْغَيْمُ عَنْ هِلَالٍ تبَدَّى فى يَدِ الْأُفْقِ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارِ

وأخذه علىُّ بنُ محمد بن حبيب التميمى من قصيدة[٣] :

ولا ضوءَ إلا مِن هلال كأَنَّما تَفرَّق مِنْه الغَيْمُ عن نِصْف دُمْلُجِ

وأَخذه الشريف أَبو الحسن على بن إسماعيل الزيدى القيروانى[٤] فقال من قصيدة[٥] :

كأَنَّ طُلُوعَ أَنْجُمِهِ كُؤُوسٌ سقَى الشَّرقُ الغُروبَ بها عُقَارا
وفى ذَيْلِ الغُرُوبِ سَلِيلُ شَمْسٍ كما شَطَرَتْ مُنَعَّمةٌ سِوَارَا

وأخذه نشو المُلك بن المنجم وزاد عليه ، وذكر غروب الشمس فقال :

وعَشِىٍّ كأَنَّما الأُفْقُ فِيهِ لا زوَرْدٌ مرصَّعٌ بِنُضَـارِ
قُلْتُ لمَّا دنَتْ لِمغربها الشَّمْ سُ ولاحَ الهِلالُ للنُّظَّارِ
أَقرضَ الشَّرقُ صنوَهُ الغَرب دِينَا رًا فأَعطاهُ الرهْنَ نِصْف سِوارِ

---

(١) الخُزَّم : نوع من الزهر .

(٢) تميم بن المعز لدين الله الفاطمى الأمير الشاعر ، وكان فى دولة الفاطميين كابن المعتز فى العباسيين ، وتوفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٣) لم نعثرله على ترجمة ويغلب أن يكون من شعراء الشام فى القرن الخامس . والدملج السوار ، أو حلية تلبس فى المعصم .

(٤) الشريف أبو الحسن على بن إسماعيل الرجال الوزير الشاعر القيروانى من أعيان القيروان فى القرن الخامس وقد مدحه ابن رشيق وقد م له كتاب العمدة .

(٥) البيتان فى بدائع البدائه ص ١٢٩ ورواية البيت الأول فى المطبوع « وعشاء » .

ومن الشعر الذى تظهر عليه الشَّطارةُ قولُ مؤيِّد الدينِ الطُّغرائى أَبى إسماعيل[١] :

قُومُوا إلى لَذَّاتِكُمْ يا نِيَامْ وأَتْرِعُوا الكأْس بِصَفْوِ المُدَامْ
هذَا هِلالُ الشَّهرِ قدْ جَاءَنا بِمِنْجَلٍ يحْصُدُ شهْرَ الصِّيامْ

وقال ابنُ وكيع[٢] من قصيدة :

ولاح لِى هِلالُهـا كقوْسِ رامٍ إِذْ يَغُطْ
أَوْ حَاجبٍ ذِى شَمطٍ ظَلَّ مِن التِّيه يُمَطْ

وزاد المملوك على هذا زيادة من طريق الصنعة فقال :

انْظُرْ لِحُسْنِ هِلالِ الجوِّ كيْف سرَى إلى منازِلِهِ فى غايةِ الصِّغَرِ
كأَنَّما قوسُه ما بينَ جَبْهتِهِ وطرْفِهِ حاجبٌ قدْ شابَ فِى كِبَر

وقال ابن حمديس فى طلوع الهلال[٣] ، عند السحر فى أَواخر الشهر وأَجاد :

وربَّ ليلٍ سهرناهُ وقد ظَلَعتْ بقيةُ البدرِ فى أُولَى بشائرِهِ
كأَنَّما أَدْهمُ الإِظْلامِ حين نجَا من أَشْهَبِ الصُّبحِ أَلقَى نعْلَ حافِرِهِ

ومما ينسب إلى ابن المعتز[٤] :

قم يا غلامُ فهاتِها كرْخِيَّةً حمراءَ تحكى خَمْرةَ المارِينجِ

---

(١) الطغرائى هو الكاتب الشاعر المشهور وصاحب لامية العجم . قتل سنة ٥١٣ هـ . ترجمته فى وفيات الأعيان ١ / ٤٤٠ وله ديوان مطبوع . والبيتان من قصيدة ص ١١٩ ، ورواية عجز البيت الأول « ونبهوا العود وصفوا المدام » وصدر الثانى « هلال الفطر » .

(٢) ابن وكيع الحسن بن على . أبو محمد ، شاعر مصرى توفى سنه ٣٩٣ هـ وأكثر شعره فى وصف الخمر والزهر ، وقد طبع جزء من شعره وقام على تحقيقة الدكتور حسين نصار .

(٣) ابن حمديس الصقلى ، عبد الجبار بن حمديس أبو محمد ، كان شاعرا وصافا للطبيعة وتوفى بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ ، وديوانه مطبوع ، والبيتان به ص ١٩٢ ، ورواية البيت الأول « ورب صبح رقبناه » وكذا فى نهاية الأرب ١ / ٥٣ ، وفى الوافى « ورب ليل سريناه » .

(٤) لم ترد الأبيات فى ديوانه المطبوع . وكرخية منسوبة إلى الكرخ ، ضاحية ببغداد كانت مشهورة بالخمر ونسبت إليها الخمر الجيدة فى أشعار العباسيين .

وانظُرْ إلى حُسْنِ الهِلالِ كأَنَّهُ نونٌ مذهَّبةٌ على فيْروزَج

وقال السرى من قطعة[١] :

ضَحِكتْ أَوجُه اللَّذَاذَةِ بالفِطْـ ـرِ ولاحَتْ طـوالِعُ السرَّاءِ
وكأَنَّ الهِلالَ نونُ لُجيْنٍ غَرقَتْ فى صحيفةٍ زرْقـاءِ

وأَخذهُ الوأْواءُ فقال[٢] :

هـلالُها من خلل السَّحابِ كمُذْهَبِ النُّونِ من الكِتَابِ
أَو طرفِ السَّيفِ من القِرَابِ

وأَخذه أَبو عبد الله بن الحدَّادِ الأَندلُسىُّ أَخذًا عجيباً فقال[٣] :

وبدا هلالُ الفطْر فيها سائرًا وسطَ السَّماءِ كأَنهُ العُرْجُون
فكأَنَّ « بانَ الصَّومُ » خُطَّ بجَوِّهِ خَطًّا دَقِيقًا بانَ منْه النُّونُ

وأَخذهُ ظافِر الحَدَّاد فقال[٤] :

لما تَجلَّى هِلالُ العِيد عادَ بما قد كنتُ آنسُ من لهوٍ ومنْ طَرَبِ
يلوحُ فى الأُفق الغرْبِىِّ من شَفَق كالنُّونِ خُطَّتْ على لوحٍ من الذَّهَبِ

وللسرى الموصلى ، وأَجاد[٥] :

أَلا عُدْ لى بباطيةٍ وكاس ورُعْ همى بإبريق وطَاسِ

---

(١) ديوان السرى الرفاء ص ١٢ — ١٣ .

(٢) الوأواء الدمشقى من شعراء اليتيمة جـ١ قال عنه الثعالبى : « من حسنات الشام وصاغة الكلام » والبيتان فى ديوانه ص ٣٠ — ٣١ .

(٣) من شعراء الأندلس ترجم له صاحب نفح الطيب ٥ / ٢٤١ ، وابن الأبار فى التكملة ص ١٣٣ ، وقال عنه : « كان من فحول الشعراء وأفراد البلغاء » . والبيت الأول فى نفح الطيب « هلال الأفق أحى ناسخا عهد الصيام » ، والبيت الثانى فى النفح مضطرب .
والعرجون : أصل العذق الذى يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه شماريخ البلح .

(٤) ظافر الحداد شاعر مصرى من شعراء القرن السادس الهجرى .

(٥) الأبيات فى اليتيمة للثعالبى جـ ٢ / ١٧٨ مع خلاف فى بعض الألفاظ والباطية إناء زجاجى .

وذكّرني بشعر أبي نُواسٍ على روض كشِعْرِ أبي فِراسِ
وغيمٍ مرهفات البرْق فيهِ عوارٍ والرِّياضُ به كَواسِي
وقد سلَّتْ جيُوشُ الفِطْرِ فيهِ على شهْرِ الصِّيامِ سُيُوفَ باسِ
ولاحَ لنا الهِلالُ كشطْرِ طَوْقٍ على لَبَّاتِ زَرْقاءِ اللِّباسِ

وقد أربى هذا على قول ابن المعتز[1] :

وكأنَّ الهلالَ طوقُ عروسٍ بات يُجْلى على غَلائِلَ سُود

وقال ظافر الحداد وأجاد :

أما ترونَ هِلالَ العيدِ حين بدا للعيْن منه بقايا جِرْم دائِرِهِ
كحرف جامٍ من البلُّلورِ قابَلَهُ ضوءٌ وأخْفَى الدُّجى إشْراقَ سائِرِهِ
أو درهمٌ فوق دينارٍ تجلَّلَهُ سترًا وضاقَ عن استيعابِ آخِرِه

وقال ابن المعتز من قصيدة[2] :

ولاحَ ضوءُ هلالٍ كادَ يفضَحُنَا مثلَ القُلامةِ قَدْ قُدَّتْ من الظُّفُرِ

وقال على بن محمد بن حبيب التميمى من قصيدة :

فى ليلةٍ أُنفٍ كأنَّ هِلالَهَا صدْعٌ تبيَّن فِى إناء زُجاج
كفل الزَّمانُ لأُخْتها بزِيادةٍ من نُورهِ فأتَى كوقف العاج[3]

وقال من أخرى :

فلما قضَى منهُ السَّحابُ قضاءه وأنفَقَ فى تحديقهِ كلُّ نَاظِرِ
بدا مُستدِقَّ الجَانبيْنِ كأنَّهُ على الأُفقِ الغَرْبىِّ مِخْلَبُ طائِرِ

---

(١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٦ وروايته « وهلال السماء . . . » .
(٢) والقصيدة غير واردة فى ديوانه المطبوع .
(٣) الوقف السوار .

وهو من قول ابن وكيع :

طاف بها يجْلُو ظلام الغَيْهبِ كالبدْرِ يمْشِى فى الدُّجى بكوكَبِ
وقد بدا ضَوْءُ هِلالٍ أَحْدَبِ يَلُوح فِى الجَوِّ كقَرنَىْ عقْرَبِ
كمِنْسرٍ من طائرٍ أَوْ مِخْلَبِ[1]

وقال التميمى أيضاً من قصيدة :

إذا استثبتته العيْنُ لاحَ كأَنَّه وقد كادَيخْفَى فى الدُّجى خَطُّ مَفْرِقِ
وأَضمرُه الإسهْادُ حتَّى كأَنَّهُ على الأُفقِ الغَرْبِىِّ قوسُ مُفَوَّقِ[2]

وقال ابن وكيع من قطعة :

يلوحُ لى هِلالُهـا كمثلِ نِصْفِ الزَّردهْ[3]

---

(١) المِنْسَر أو المِنْسَر المنقار فى جوارح الطير .
(٢) مفوق : أى معوج ، وفوّق القوس شد وترة — فانحنى — ليطلق السهم .
(٣) الزردة : الدرع .

الفصل الثانى

فى تشبيهه مع الثريا وسائر النجوم

ومن أحسن ما سمع المملوك فى ذلك هذان البيتان ، وهما منسوبان إلى ابن المعتز :

كأنما اللَّيْلُ والهِلالُ وقد ... بدَتْ نُجُومُ السَّماء منقَضَّهْ
رامٍ من الزَّنْجِ قوسُه ذهَبٌ ... ينثُر مِنْه بنَادِقَ الفِضَّهْ

وقال ابن قلاقس فيه وفى النجوم من قصيدة[1] :

ألَمَّ وقلبُ البَرْقِ فى الجوِّ خَافِقٌ ... حِذَارًا وطَرْفُ النَّجم فى الجَوِّ ساهِدُ
وفى جِيدِ زِنجىٍّ الدُّجَى مِنْ هِلالِهِ ... وأَنْجُمِهِ طَوْقٌ لَهُ وقَلائِدُ

وقال أيضاً فيه وفى الثريا[2] :

يا ربَّ ليلٍ قد نضَى لِباسَه ... لم يلْبث النَّجْمُ به أَنْ جاسَهُ
دع امرأَ القيْس ودعْ أَمْرَاسَهُ ... فِتْرُ الهِلالِ سُرْعةً قد قَاسَهُ
مُنَكِّساً نحْوَ الثُّريَّا راسَهُ ... هل تعْرِف العُرْجُونَ والكِبَاسَهُ[3]

وهذا غاية فى الجوْدة .

---

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه المطبوع .

(٢) ديوانه ص ٥٧ ورواية البيت الأول « يارب ليل . . » وعجزه « قد عطر الوصل لنا أنفاسه » والبيت الثانى فى الأصل « أفراسه » ، والصحيح ما أثبتناه كما فى الديوان ، ويقصد قول امرئ القيس :

كأن الثريا علقت فى مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل

(٣) الكباسة بالكسر العذق التام بشماريخه وبسره .

وقال مؤيد الدِّين الطغرائى فيه وفى الثريا[١] :

وترى الثُّريَّا والهلالَ مظاهرًا ... بِمُعَنْبرٍ فى حُلَّةٍ ومِجْسَدِ
كالدُّرِّ فصِّلَ فى وِشَاحِ خَرِيدَةٍ ... حَسْناءَ تُجْلَى فى نِقَابٍ أَسْوَدِ
وكأَنَّهُ وكأَنَّها مِن فَوْقِهِ ... عُنْقُودَةٌ فى زورقٍ من عسجد

ولأَبى عاصم البصرى فيه وفى الثريا والزُّهَرَةِ وأحسن[٢] :

رأَيتُ الهلالَ وقد أَحدَقَتْ ... بهُ نجومُ الثُّريَّا لكىْ تسْبقَهْ
فشبَّهْتُهُ وهو فى إثْرِها وبين ... هُمَا الزُّهْـرَةُ المشْرِقَهْ
بِقَوْسٍ لرامٍ رمَى طائِرًا ... فأَتْبَعَ فى إثْره بُنْدُقَهْ

وله فيه وفى الزُّهْرة[٣] :

قارَنَ الزُّهرةَ الهلالُ وكانَا ... فى افْتِراقٍ مِنْ غيْر صدٍّ وهِجْرَهْ
وإذا ما تقَارنا قلتُ طوْقٌ ... من لُجينٍ قد رُكِّبتْ فيه دُرَّهْ

وقال الوأْواء من قطعة[٤] :

ما ترى الصُّبْح كيفَ قدغلَب اللَّيـ ... ـلَ وقد أَقبلَ النَّسِيمُ العَلِيلُ
وكأَنَّ الهِلالَ تحْتَ الثُّرَيَّا ... ملِكٌ فوق رأْسِهِ إكْلِيلُ

---

(١) ديوان الطغرائى ص ١٢٠ على خلاف فى بعض الألفاظ ، ورواية ابن ظافر أدق . وربما كان الخلاف من صنع التحريف فى نسخة الديوان المطبوعة .

والمجسد : القميص الذى يلى البدن ؛ الخريدة اللؤلؤة لم تثقب ، والفتاة البكر .

(٢) ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ولم يترجم له ج ٢ ص ٣٤٠ ط . الصاوى .

(٣) البيتان باليتيمة ، ورواية عجز الأول « فى افتراق مابين صد . . . » وعجز الثانى « . . . قد لمقت فيه . . » .

(٤) فى ديوان الوأواء ص ١٠٧ ، والبيت الأول « ما ترى الليل كيف قد غلب الصبح » .

وللأمير أبى الفضل الميكالى فيه وفى الزهرة[١] :

أما ترى الزُّهرةَ قد لاحَتْ لنَا ... تحتَ هلالٍ ضوؤُه يَحْكى اللَّهَبْ
ككُـرةٍ مجْلُوَّةٍ من فِضَّةٍ ... أوفَى عليْها صولَجانٌ من ذَهَب

وقال ابن المعتز فيه وفى الثريا[٢] :

زارَنى زائرى وقد هرِمَ اللَّيْـ ... ـلُ ودبَّ المشِيبُ فى عَارِضَيْهِ
وكأنَّ الهِلالَ نِصْفُ سِوَارٍ ... والثُّريَّا كفٌّ تُشِيرُ إليْهِ

وينسب إليه من قطعة فيها :

يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتَحُ فاهُ لأكلِ عُنْقُـود

وقال المملوك فيه وفيها من قطعة :

والليلُ قد أبْدى الثُّريا جنحُه ... فكأنه موسى يضمُّ يمينَـهُ
وكأنَّ بحرَ الليْلِ دَرْجٌ أسودٌ ... خَطَّ الهلالُ به بِتِبْرٍ نونَهُ[٣]

وقال أيضاً فيه وفيها وفى الليل من قطعة :

ولاح ظلامُ اللَّيْلِ فيه هلالُه ... ونَجْمُ الثُّريا للغُروبِ قد اقتَربْ
كأدْهَم نهدٍ ذى هِلالٍ مُفضَّضٍ ... على ظَهْرِه قدشُدَّسَرْجٌ من الذَّهَبْ

---

(١) من شعراء اليتيمة، وترجم له ، وقال فيه : « وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة وأتم بلاغة... فهو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابى بدل ، ثم إذا تعاطى النظم فكأن عبدالله بن المعتزوعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وأبا فراس الحمدانى قد نشروا بعد ما قبروا » . والبيتان فى ديوانه ص ٣٦ وفى اليتيمة ٤ / ٣٧٣ ورواية اليتيمة فى عجز الأول « .. لونه يحكى » وكذلك رواية الديوان . وصدر البيت الثانى فى الديوان واليتيمة « ككرة من فضة مجلوة » .

والزهرة : كوكب سيار يدور حول الأرض .

(٢) لم يرد البيتان فى ديوانه المطبوع .

(٣) درج : بفتح الأول ؛ اللوح الذى يكتب فيه.

وقال أيضاً فى صباهُ فيه وفى الليل والنجوم :

انْظُرْ إلى جَوِّ السَّماءِ وقد بَدا ... فيه الهلالُ لدَى نجوم كاللَّهَبْ
وكأَنَّ جُنْحَ اللَّيْلِ ثورٌ أَبْلَقٌ ... وهلالُه فيهِ قرُونٌ من ذَهَبْ[1]

وقال أيضاً من قطعة :

ولاحَ فى الغَرْبِ هلالٌ حَكَى ... مع الثُّريَّا فى الدُّجَى حينَ لاحْ
فَخٌّ نُضَارٍ قد رَأَى شَخْصَهُ ... طيرٌ فأَهْوَى نحوَهُ بالجَنَاحْ[2]

والبيتُ الثانى فيه زيادة على قول ابن المعتز :

كأَنَّهُ فى السَّماءِ فَخٌّ ... يَنْتَظِرُ الصَّيْدَ للنُّجُوم

---

(١) أبلق : يختلط فيه السواد بالبياض .
(٢) النضار : الذهب والفضة ، وغلب على الذهب .

الفصل الثالث

فى تشبيهه عند انتصافه ، وكماله ، وفى حالات مختلفة

قال أبو بكر الخالدى فيه عند تَستُّره بالغَيم ، وأجاد[1] :

والبدْرُ منتقِبٌ بغيم أَبْيَضٍ هُو فيه بينَ تَخفُّرٍ وتَبرُّجِ
كتنفُّسِ الحَسْنَاءِ فى المرآة قدْ نُظرَتْ محاسِنُها ولمْ تَتزوَّجِ

وأخذَهُ ابنُ بُرد الأَندلسى فقال من قطعة[2] :

والبدرُ كالمرآة غَيَّرَ صَقْلَهُ عبثُ العذارَى فِيه بالأَنْفَاسِ

وقال إبراهيمُ بنُ محمد المُرَادِىُّ القَيْروانى يُلَغِّز فيه ويُشَبهه فى حالات مختلفةٍ ، ويمدح المُعِزَّ بن باديسَ ملك القيروان :

دعْ ذَا وقلْ للنَّـاسِ ما طارقٌ يطرقُهم جهْلًا ولا يتَّقِى
ليس لـهُ روحٌ على أَنَّهُ يركبُ ظَهْرَ الفَرسِ الأَبلقِ
شيخٌ رأَى آدمَ فى عَصْرِه وهو إلى الآن بخدٍّ نَقِى
هذا ويمشِى الأَرضَ فى ليلةٍ أَعْجِبْ بِه من مُوثقٍ مُطْلَقِ
وتارةً يوجـدُ فى مغربٍ وتارةً يوجـدُ فى مشْرِقِ

---

(١) البيتان فى اليتيمة جـ ٢ / ١٩٠ وروايتهما مختلفة :

وتنقبت بخفيف غيم أبيض هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

(٢) من شعراء الأندلس المشهورين فى القرن الخامس، ترجم له ابن بسام فى الذخيرة القسم الأول، المجلد الثانى ص ١٨ ، وابن سعيد فى المغرب جـ ١ / ٩١ ، والحميدى فى جذوة المقتبس . والبيت فى المغرب ومعه آخر هو :

والليل ملتبس بضوء صباحه مثل التباس النقس بالقرطاس

وتارة تبصرُه عائماً يَسْرى بشاطِى البَحْرِ كالزَّورقِ
وتارةً تلقاهُ فى لُجةٍ من فوقهِ المـاءُ ولم يغْرَقِ
وتارة تحسبُه وهوَ فِى سُتْرتهِ والبعضُ مِنْهُ بقى
ذُبابةً من صَارِمٍ مُرْهَفٍ بارِزَةً من جَفنِه المطبقِ
ذو زوجَةٍ أَضْحَى لهُ حُسْنُها يَخْتَطِفُ الأَبصَارَ بالرَّوْنَقِ
حتى إذا جامعها يرْتدِى بحُلَّةٍ كالوَرِقِ المُحْرَقِ
وهو على عادتِه دائماً يجامِعُ الأُنثَى ولا يلتَقِى
ثم يجوبُ القفْرَ من أَجْلِها مشتَملاً فى مُطْرفٍ أَزْرقِ[1]
وجسمهُ من ذهبٍ جامدٍ وجِلْدُه صِيغَ من الزِّئْبقِ
ثم يُرى فى حينِ إتْمامِه مثلَ مِجَنِّ الحَرْب للمُتَّقِى
وهو إذا أَبصرْتَه هكذا أَحسَنُ من صَاحِبَةِ القُرْطقِ[2]
كَأَنه وجهُ المعزِّ الذى تاهَ به الغربُ على المشْرقِ

وينسبُ إلى ابن الرومى فى مثله[3] :

يا من كغُرته الهلالُ أَما تَرى قمرَ السَّماءِ وقد بدا فِى المَشْرِقِ
كخريدةٍ نظَرتْ إلى إلفٍ لها فتنقَّبتْ خَجَلا بِكُمٍّ أَزْرَقِ

وقال الوأْواء :

والبدرُ أَول ما بدَا مُتلثِّماً يُبدى الضياءَ لنا بخدٍّ مُسْفِرِ
فكأَنَّما هو خُوذَةٌ من فِضَّةٍ قد رُكِّبَتْ فى هامةٍ من عنبَرِ

---

(١) مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .
(٢) القرطق : اسم لباس معرب .
(٣) ليس فى مختار ديوانه المطبوع .
(٤) ديوان الوأْواء ص ٦٤ واليتيمة ١ / ٢٧٦ .

وقال الطغرائى مؤيد الدين فى مقابلة النيرين[١] :

فكأنما الشمسُ المنيرةُ إذبدَتْ والبدرُ يجنَحُ للمغِيب ويغْرُبُ
متحاربان مِجنٌّ ذا قد صاغَهُ من فضةٍ ولذا مِجنٌّ مُذهَبُ

وقال ابن مكنسة الإسكندرى[٢] :

أما ترى البدْرَ وقد شقَّ قميصَ الغَسَقِ
كأنَّه وجهُ السَّما ءِ فى قِناع أزْرقِ

ومن قصيدة للشريف أبى الحسن على بن إسماعيل الزيدى[٣] :

ألمَّ وفوق رأسِ اللَّيْل تَاجٌ مُكَلَّلةٌ جوانبهُ بِدُرِّ
وقد حملَتْ به كَفُّ الثُّريَّا جَنِيَّ الورْدِ أبيضَ غِبَّ قَطْرِ
كأن الزُّهرَةَ الغرَّاء فيه وقَد طلعَت يتيمةُ درٍّ بحْرِ
وقد ولَّى الظلامُ ببدْرِ تِمٍّ كأسودَ حاملٍ مرآةَ تِبرِ

ويقرب من هذا قول سليمان بن محمد الطرابلسى من قطعة[٤] :

الويحَ لى من طُولِ لَيْلٍ كِدْتُ أنفَدُ قبْلَ يَنْفَدْ
سامرْتُ فِيه كواكِباً كمصَابِحِ الرُّهْبانِ رُكَّدْ
فكأنَّهـا درٌّ تَنا ثَر فوقَ أرضٍ من زبرْجَدْ
والبَدْرُ فى وسَطِ السَّما ءِ كدِرْهم فى كفٍّ أسْوَدْ

---

(١) ديوان الطغرائى ص١١٩ ورواية عجز البيت الأول فيه «وحذاؤها فى الأفق بدر يغرب» وصدر الثانى « متحاربان لذا مجن صاغه » .

(٢) ابن مكنسة : إسماعيل بن محمد ، أبو طاهر . ترجم له ابن شاكر فى فوات الوفيات ، وذكر وفاته فى حدود الخمسمائة ، وابن حجر فى التجريد ورقة ٥٨٤ وأورد له ابن أبى الصلت كما ذكر العماد — مختارات من شعره ، ونقل عنه العماد فى الخريدة بعض شعره ج ٢/ ٢٠٣ — ص ٢١٥ طبع لجنة التأليف .

(٣) لم نعثر له على ترجمة .

(٤) ذكره العماد فى الخريدة قسم شعراء المغرب وقال إنه « سافر إلى أفريقية وانتقل إلى الأندلس وتوطنها واتخذها لمخالطة ملوكها سكناً » .

وقال ابنُ وكيع فى الجوزاء وفيه :

وليلـــةٍ أحييتُهـــا ما بين عُجْبٍ وعجَبْ
طَار بِنَا فى جُنحِها جناحُ لهوٍ وطَرَبْ
والبدرُ قد أَهْدَى لنا فى ظُلمَةِ الليل شُهُبْ
وقد دنَتْ جوزاؤُهُ إليه تسْعَى من كَثَبْ
كأَنَّهـــا روميـــةٌ فى أُذْنِها شِنْفُ ذَهَبْ[1]

وقال ابن رشيق فيه وفى الثريا[2] :

يا رُبَّ ليلٍ بتُّـــه مثل مَبيتِ لنَّابِغَـــهْ
ولم يساورنى سِوَى عقربِ صُدْغ لا دِغَـــهْ
وقد بدا البدرُ المنيـ رُ والثريَّا بَازِغَـــهْ
كأَنَّهُ ترْسُ لُجَيْنٍ حولَ درعٍ سابِغَهْ

وقال أيضاً من قطعة :

والثريَّا قبالةَ البدْرِ تحْكى باسِطاً كفَّهُ ليأْخُذَ جَامَا

وقال ابن بابك فى أُرجوزة[3] :

والبدرُ كالمرآةِ والَّلألاءِ حِليتُها كواكبُ الجَوْزاءِ
كأَنَّه فى كبدِ السَّماءِ حديقةٌ فيها غديرُ مَاءِ

---

(١) شنف : الشنف القرط الأعلى وهوما علق فى أعلى الأذن .

(٢) الحسن بن رشيق القيروانى ، شاعر من شعراء القيروان المشهورين ، وأحد علمائها المرموقين وتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، وله عدة تصانيف منها « العمدة فى صنعة الشعر »، « والأنموذج » فى شعراء القيروان ، وقراضة الذهب . . . وغيرها . ترجم له ابن خلكان ، وفيات جـ ١ / ٣٦٦ .

ويقصد ابن رشيق قول النابغة الذبيانى :

وبيت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

(٣) من شعراء اليتيمة للثعالبى ذكره جـ ٣ فقال : « شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبه كلامه مرة فى الجزالة والفصاحة كلام المفلقين من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة فى الرشاقة والملاحة قول المجيدين من المحدثين والمولدين والبيتان فى ج ٤ ص ٣٩٢ .

وقال فى المعنى من قصيدة :

والليل درعٌ قد تسمَّر ظلُّه والنجمُ فى لحظاته إغضاءُ
والبدرُ يضحكُ كالغدير تكشَّفت عن جانبيه حديقة خضراءُ

ولأبى نصر سهل بن المرزبان فيه وفى الثريا[١] :

كم ليلةٍ أحْيَيْتُها ومُؤانِسِى طُرَفُ الحَدِيثِ وطيبُ حَثِّ الأَكْؤُسِ
سَمَّيتُ بدْرَ سمائِها لمَّا دنَتْ منه الثريا فى مُلاءَةِ حِنْدِسِ
ملِكاً مَهِيباً قاعِدًا فى روضَةٍ حياهُ بعضُ الزائرين بنرْجِسِ

وقال أبو محمد عبد العزيز الحاكم المعافر الصقلى[٢] :

وكأَنَّ البدرَ والمريخُ إذ وافى إليهِ ملكٌ يوقِدُ ليلاً شمعةً بين يديه

وقال على بن محمد بن حبيب التميمى من قصيدة :

ورأَيتُ الشِّعْرى كجذْوَة نارٍ والثُّريَّا كالجوْشَنِ المَزْرُورِ[٣]
وترى أَنجم المجرَّةِ منها فى مَسِيل كالجدْولِ الممطورِ
وكأَنَّ النُّجُومَ زهرُ رياضٍ قد أَحاطَتْ من بَدْرِها بغَدِيرِ
بمنير قد استدَار به التَّمّ مُ فأَضحىَ كجامَةِ البَلُّورِ

وقال ابن المعتز فى تشبيهه عند انتصافه[٤] :

ما ذقتُ طعْمَ النوم لو يدرى كأَنَّ جنبىَّ على الجَمْرِ
فى قمرٍ مستبْرِقٍ نِصْفُه كأَنهُ مِجْرفَةُ العِطْرِ

---

(١) ذكره صاحب اليتيمة ٤ / ٣٩٢ ورواية البيت الثانى بها « منه الثريا فى قميص سندسى » .

(٢) ذكره العماد الأصبهانى فى الخريدة قسم شعراء المغرب نقلا عن الدرة الخطيرة لابن القطاع الصقلى ، وقد وصفه « بالبراعة فى الصناعة والمهارة فى العبارة ، والتنزه فى رياض الرياضات » والبيتان مذكوران فى الخريدة طبع تونس ١٩٦٦ ص ٨٢ .

(٣) الجوشن : الدرع . المزرور : المضموم حلقاته بعضها إلى بعض . والجامة الكأس .

(٤) ديوان ابن المعتز ٣١٧ ورواية العجز على جمر وصدر البيت الثانى : « فى قمر مشرق » .

الفصل الرابع

ومما يتعلق بوصف القمر ووصف ضوئه على الماء

ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول القاضى التنوخى[1] :

لم أَنسَ دِجْلَةَ والدُّجى مُتَصَوِّب والبَدْرُ فى أُفْقِ السَّماءِ مُغْرِبُ
فكأَنَّها فِيه رداءٌ أَزْرَقٌ وكأَنَّه فيها طِرازٌ مُذهَبُ

وقال المملوك من قطعة يظن أنه زاد فيها على هذا المعنى :

والليلُ فرعٌ بالكواكبِ شائِبٌ فيه مجرَّتُه كمثْلِ المَفْرِقِ
ولربَّما يأْتِى الهلالُ ببحرِهِ متصيِّدًا حُوتَ النُّجوم بزوْرَقِ
حتى إذا هَبَّتْ على الماءِ الصَّبا وأَلاحَ نورُ تمامِــه بالمشْرِقِ
أَبْدَى لنا علَمًا بهيجاً مُذْهَباً قَدْ لاحَ من تحْعِيدِ كُمٍّ أَزْرَقِ
وحكى بُرادَةَ عسْجَدٍ قدْ رامَ صا ئِغُهَا يُؤَلِّفُ بينَها بالزِّئْبَق

وهذا معنى غريبٌ لا يظنُّ المملوكُ أَنه سُبِق إليه .

ومن أَحسن ذلك أَيضاً قولُ ابن التَمَّار الواسطى[1] :

قم فانتَصِفْ من صُروفِ الدَّهْرِ وَالنُّوَبِ واجمعْ بكأْسِكَ شمْلَ اللَّهْوِ والطَّرَبِ
أَما تَرى اللَّيلَ قد ولَّتْ عساكِرُهُ مهزُومةً وجيوشُ الصُّبْح فى الطَّلَبِ
والبدْرُ فى الأفق الغرْبِىِّ تَحسبُهُ قدْ مَدَّ جِسْرًا على الشَّطَّيْنِ من ذَهبِ

---

(١) يتيمة الدهر جـ ٢ / ٣٣٩ ورواية البيت الثانى « فكأنها فيه بساط . . . » .

(٢) من شعراء اليتيمة جـ ٢ ص٣٧٠ من شعراء الشام، ويقول فى شعره : « شعره يتفنى بأكثره ملاحة ورشاقة وإنما كان يقول تطربا لا تكسباً ، وقد بلغنى له أبيات قلائل إلا أنها قلائد » .

ورواية البيت الثالث فى اليتيمة : « والبدر فى الجانب الغربى » .

وقد قالَ المملُوكُ من قطعةٍ زَاد فيها على هذا المَعْنَى من قِبلِ الصَّنْعَةِ وهى :

بشاطِئِ نهْرٍ كالسَّماءِ نجومُه الـ ... حَصَى فوقَه مثلُ الهِلالِ سُمارِى[1]
فلما أَتانَا عسكرُ اللَّيْلِ راكباً ... على الشُّهْبِ فى نَقْعِ الدَّياجِرِ سَارى
أَلاحَ عليه البدْرُ فى الغَرْبِ نورَهُ ... فسارَتْ خفايَا فوقَهُ ودرَارِى
كأَنَّ جيُوشَ اللَّيْلِ حاولْنَ قطْعَهُ ... فمدَّ عليهِ البدرُ جِسْر نُضَارِ

ومن أَطرفِ ذلك قول منصور بن كَيْغلَغْ[2] :

قام الغُلامُ يُديرُها فى كفِّهِ ... فحَسِبْتُ بدْرَ التِّمِّ يلْثُمُ كوكَبا
والبدْرُ يجْنَحُ للأُفُولِ كأَنَّهُ ... قدْ سَلَّ فوقَ الماءِ سيْفاً مُذْهَبَا

ومثله فى الحُسْنِ قولُ ابن وَكيع :

قمْ يا غلامُ أَدِرْ علىَّ بِسُحْرةٍ ... كَأْساً كطعْم العيْشِ بلْ هى أَطْيَبُ
لا سيَّما والنيلُ يلمَعُ فوقَهُ ... بدرٌ لوقتِ مَغِيبِه مُتَصوِّبُ
وكأَنَّ صفْحَ الماءِ دَرْجٌ أَبيض ... فيه لضَوْءِ البدْرِ سَطْرٌ مُذْهَبُ

ويلحقه فى الجودة قول الأَمير تميم :

يا رُبَّ ليلٍ بتُّه ناعِماً ... بينَ رُبَى المُخْتَارِ والجِسْرِ
أَخْرُجُ فيهِ لِصباً من صباً ... وأَستَحِثُّ الخَمْرَ بالخمْرِ
والبدْرُ قد شدَّ على نِيلهِ ... مِنْطَقَةً من خالِصِ التِّبْرِ

وقال كَشَاجِمْ[3] :

ما زلتُ أُسْقَاها على وجْهِ غزالٍ مُوفقِ

---

(١) السمارى والسماريه : نوع من الزوارق .

(٢) من شعراء اليتيمة جـ ١ ص٩٣ ويقول فيه الثعالبى وفى أخيه أحمد : « أديبان شاعران من أولاد أمراء الشام » . ورواية البيت الأول فيها « ... بدر التم يحمل كوكبا » والبيت الثانى « والبدر يجنح للغروب » .

(٣) كشاجم محمود بن الحسين ، شاعر كاتب من شعراء سيف الدولة ، عرف بجودة وصفه للطبيعة ، أقام بمصر زمنا وكان يتشوق لها فى شعره ، توفى سنة ٣٢٠هـ . راجع ترجمته فى حسن المحاضرة جـ ١ / ٢٦٨ .

مُختَّمٍ بخاتَمٍ بِمثلِهِ مُمَنْطَقِ
والبَدْرُ فوقَ دِجْلَةٍ والصُّبحُ لمَّا يُشْرِقِ
كحُلَّةٍ من ذَهَبٍ فوقَ رِداءٍ أَزْرَقِ

وقال على بنُ محمد التميمى من قصيدة :

وتخال مطَّرِدَ الحَبابِ بنُوره فى حيثُ ما استقبلْتَ معدِنَ زِئْبَقِ
يختالُ فوقَ الماءِ من لألائِهِ فى مِثْلِ مِنْطَقَةِ اللُّجَيْن المُطْرَقِ

ومن أُخرى له :

وكأَنَّ السَّحابَ تَذْرُو على الأَرْ ضِ إِذَا قابلَتْه مِسْكاً فَتِيقَا
تتلَقَّى أَضواءَه حُبُكُ الما ءِ كما لاعَبَ الحبابُ الغَرِيقَا
كُلَّمَا ارْتجَّتْ الرِّياحُ عَلَيْه خِلْتَ منه بالماءِ قلْباً خَفُوقَا

وقال السلامى من قصيدة :

على نَهْرٍ سلٍّ فى دُجى اللَّيل من رَأَى كواكِبه زُهْرًا تكامَلْنَ أَم زَهْرا
إذا طلَعَتْ فيه النُّجومُ فما تَرَى بهِ العيْنُ إلاَّ الثَّلْجَ مُسْتَوْدَعاً خَمْرَا
يُرى قدْ أَعادَ اللَّيْلُ مِسْكاً ثَرى لَهُ وماءً أَعادَ البدرُ فِضَّتَهُ تِبْرَا

وأَنشدنى القاضى النَّفيسُ عبدُ الغَنِيِّ بنُ الفُطْرِسِيِّ الكاتبُ لنفسه وأَجاد فيه[٢] :

يا حبَّذَا النيلُ وحُسْ نُ موجِهِ المُطَرَّدِ

---

(١) السلامى من شعراء اليتيمة، وذكره الثعالبى ضمن شعراء العراق فقال: « من أشعر أهل العراق قولا بالإطلاق ولد بكرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ . ، واختص بخدمة عضد الدولة ، وتوفى سنة ٣٩٤ هـ » . والأبيات فى اليتيمة جـ ٢ ص ٤١٩ .

(٢) القاضى النفيس من أدباء المصريين فى القرن السادس الهجرى ، ذكره ابن خلكان (وفيات جـ ١ / ١٤٨ — ١٥٠) فقال: « كان من الأدباء وله ديوان شعر أجاد فيه . وجاب النفيس البلاد واستجدى بشعره » ، وذكره العماد فى الخريدة .

والبدْرُ يحْكِى فوقَهُ من أُفْقِــه علَى يَدِ
كجوْشنٍ[1] من فِضَّةٍ عليه تُرسُ عسْجَدِ

وقال المملوك بديها على شاطئ النيل :

جلستُ بشاطِئ النِّيل ليْلاً وقد بَدَا بهِ ضَوْءُ بدْرِ التِّمِّ والماءُ مُهْتَدِى
فخِلْنَا لهُ من مائِهِ سَيْفَ فِضَّةٍ مُوَشًّى مِنَ البَدْرِ المُنِيرِ بِعَسْجَدِ

وقال أيضاً :

تـأَمَّلْ ميــاهَ الخَليج الذِى أَتى لكَ من أَمْــره بالعَجَبْ
وقد دَرَّجَتْهُ الصَّبــا سُحْرَةً وقابَلَهُ البــدْرُ لمَّا غَرَبْ
حَكَى زرَدًا صِيغَ من فِضَّةٍ وقدْ موَّهُوا بَعْضَهُ بالذَّهَبْ

ولابن رشيق من قصيدة :

وجرى شُعَاعُ البدْر فيه فانثَنَى كاللاَّزَوَرْد المُذْهَبِ الأَثْنَاءِ[2]

---

(١) الجوشن : الصدر أو الدرع أو المقدمة أو الشرفة .

(٢) اللازورد : معدن نفيس شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة والخضرة يتخذ للحلى ، وله منافع فى الطب .

الفصل الخامس

ومما يتعلق بذكر تشبيه ضوء البدر على الماء

ذكر التشبيه المستحسن فى ضوء الشمس والسُّرج

ومن أحسن ما قِيلَ فى تَشْبيهِ ضَوْءِ الشَّمْسِ على الماءِ قولُ ابنِ المُعْتَزّ ووصف إبِلا[1] :

فَتَبدَّى لهُنَّ بالنَّجفِ المقْفِيِّ ماءٌ صافِى الجِمَام غَرِيُّ
يتمشَّى علَى حصًى يسْلُبُ المـاءُ قذَاهُ فمْتنُه مَجْلِيُّ
فإذا قَابَلَتْهُ ذَرَّةُ شمْسٍ خِلْتَه كُسِّرَتْ علَيْهِ الحُلِيُّ

وقال ابنُ قلاقس من قطعة[2] :

وللنِّيلِ تحتَ ثِيابِ الأَصيـ ـلِ لُجَيْنٌ توشَّحَ بَالعَسْجَدِ
فأَشْبَهَ إِذْ درَّجتْهُ الصَّبا بُرادةَ تِبْرٍ علَى مِبْرَدِ

وقال مؤيد الدين الطغرائى فى تشبيه الشمس قابلت غديرا[3] :

حولَ غديرٍ مـاؤُه دَارِعٌ والأَرضُ مِنْ رقَّتِه حَاسِرَهْ
قدْ ركبَ الخضَراءَ فيه فمِنْ حصْبائِه أَنجُمُها الزاهِرَهْ
والشمسُ إِذْ حاذَتْه وقتَ الضُّحَى حسْناءُ فى مِرآتِها نَاظِرَهْ

---

(١) ديوان ابن المعتز ص٤٧٠ ورواية البيت الثانى به « يسلب الريح قذاه »، وصدر البيت الثالث « فإذا ضاحكته » طبع دار صادر بيروت ١٩٦١ .

(٢) ديوان ابن قلاقس ص ٣٥ ورواية صدر البيت الثانى « يحاكى إذا » .

(٣) ديوان الطغزائى ص ١٢١ وفى الديوان عجز البيت الثانى « . . . أنجمه الزاهرة » .

وهذا من قولِ ابن المعتز يصف غديرًا :

ما إن يَزالُ عليهِ ظبيٌ كارِعُ كتَطَلُّعِ الحَسْنَاءِ فى المِرآةِ

وقال ابن وكيع[١] :

غَدِيرٌ تُدرِّجُ أَمْـواجَهُ هُبوبُ الرِّياح ومرُّ الصَّبا
إذا الشمسُ من فوقهِ أَشرقَتْ توهمْتَهُ زَردًا مُذْهَبَا

وقال السلامى من قطعة[٢] :

ونهرٌ تمرحُ الأَمواجُ فِيه مراحَ الخَيْلِ فى رَهَجِ الغُبَارِ
إذا اصْفَرَّتْ عليهِ الشَّمسُ خِلْنا نَمِيرَ الماءِ يُمْزَجُ بَالعُقَـارِ
كأَنَّ المَاءَ أَرضٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُغَشَّاةٌ صفَائِحَ مِنْ نُضَارِ

وقال أَيضاً من قصيدة[٣] :

ولم ترَ بحرًا جرَى بالعُقَارْ ولا ذهَباً صِيغ مِنْهُ جبَلْ
إلى أَنْ جَرَتْ دِجْلةٌ بالشُّعَاعِ وطُنِّبَ بالنُّورِ أَعْلَا القُلَلْ
وكُنَّا نرى الموْجَ من فِضَّةٍ فذهَّبَهُ النُّورُ لمَّا اشْتعَلْ

وقال البُحْترى فى بركة الجعْفرى[٤] :

إذا عَلتْها الصَّبَا أَبْدَتْ لها حُبُكاً مِثْلَ الجَواشِن مَصْقُولٌ حَواشِيها
إذا النُّجُومُ تراءَتْ فِى جوانِبِهَا ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبتْ فِيها

---

(١) ابن وكيع التنيسى لحسين نصار ص ٣٩، ورواية صدر البيت الأول « يجعد أمواجه ... » وعجز البيت الثانى « توهمته جوشنا . . . » .

(٢) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ٤٠٨ .

(٣) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٨٦/٣٨٧ طبعة الصاوى، ورواية عجز البيت الثالث «... حتى اشتعل ».

(٤) ديوان البحترى ص ١٧ .

وقد أَخذ هذا الصنوْبرى فقال[١] :

ولما تعَالَى البدْرُ واشتدَّ ضوؤُهُ بدِجْلة فى تِشْرينَ بالطُّولِ والعَرْضِ
وقد قابَلَ الماءُ المُفضَّضُ نُورَهُ وبعضُ نجُوم اللَّيْلِ يُطْفِى سنا بعْضِ
توهَّم ذُو العَيْنِ البَصِيرةِ أَنَّه يرَى باطِنَ الأَفلاكِ فى ظاهِرِ الأَرْضِ

ولأَبى الحَسن الصِّقلِّى فى تشبيه ضوءِ السِّراج على الماء ، وأَحسن[٢] :

شربْنا معْ غروب الشمس شمساً مُشعْشَعَةً إلى وقْتِ الطُّلُوعِ
وضوء السُّرْج فوقَ اللَّيْلِ بادٍ كأَطْرافِ الأَسنَّةِ فى الدُّرُوعِ

وذكر أَبو الصلت أميَّةُ فى يوم المِهْرجان إلى الأَفضل[٣] :

أَبدعْت للنـــاس منظرًا حســـنا لا زِلْت تُحْيِى السُّرورَ والطَّرَبَا
أَلَّفْتَ بينَ الضِّـــدَّينِ مُقْتَـــدِرًا فمَنْ رأَى المـــاءَ خالَطَ اللَّهَبَا
كأَنَّمـــا المـــاءُ والشُّموعُ بِه أفقُ سماءٍ تأَلَّقَتْ شُـــهُبَا[٤]
قد كانَ من فِضَّـــةٍ فصـــيَّرَهُ تَوقُّدُ النـــارِ فوقَهُ ذَهَبَا

وأَنشدنى الفقيهُ همّامُ بن راجِى الله لنفسه :

رأَيتُ الماءَ قابلَهُ سِرَاجٌ ولاحَ الضَّوْءُ من فوْقِ الحَبابِ
فقلتُ لصَاحِبِى لمَّا اجتَمعْنَا هدىٌ البرْق منْ خَلَلِ السَّحَابِ

---

(١) شاعر وصاف للطبيعة انظر ابن شاكر فوات جـ ١ / ١١١ .

(٢) البيتان ذكرهما العماد فى الخريدة قسم شعراء المغرب . وأوردهما ابن أبى الصلت فى الرسالة ص ٢٢ نشر هارون وطبع سنة ١٩٥١ على خلاف فى رواية البيت الثانى .

(٣) أمية أبو الصلت عالم شاعر توفى سنة ٥٢٩ وقيل سنة ٥٢٨ ، أو سنة ٥٤٦ وطبعت له الرسالة المصرية بتحقيق عبد السلام هارون المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات وقد وردت الأبيات فى الرسالة ص ٢٢ ورواية صدر البيت الأول « . . . منظرا عجبا » .

(٤) رواية البيت فى الرسالة المصرية «كأنما النيل . . .» .
والبيت الثانى : « قد كان من فضة فصار سما وتحسب النار فوقه ذهبا » .

وهذا مأخوذ من قول غلام البكرى الأندلسى[١] :

أَعجِبْ بمنْظَر ليلةٍ ليْلاءِ تَحْيَى بها اللَّذَّاتُ فوقَ المَاءِ
فى منظرٍ يُزْهى بغُرَّةِ أَغْيدٍ يختَالُ مثْلَ البانَةِ الغَنَّـاءِ
قَرَنَتْ يدَاهُ الشَّمْعَتينِ بوجْهِهِ كالبدْرِ بيْنَ النَّسْرِ والجوْزَاءِ[٢]
والتاحَ تحْتَ الماءِ ضَوْءٌ منهُما كالبرْقِ يَخفُقُ فى غَمام سَمَاءِ

وأَخذهُ غلام البكرى من قول إبراهيم بن غانم القيروانى فى البحر :

يَأْتِيكَ من كدرِ الزَّواخِرِ مَتْنُهُ بِمُمَسَّكٍ من مائِه ومُصَنْدَلٍ
وكأَنَّ ضَوْءَ البَدْرِ فى تَمْوِيجِه برقٌ تَموَّج فِى سَحَابٍ مُقْبِل

وقال المملوك من مزدوجة :

والشَّمسُ قدْ مالَتْ لنحوِ المغْرِبِ فموَّهَتْ لُجَيْنَهُ بالذَّهَبِ
وفَتَّحَتْ فِى سـاعةِ الأَصيلِ ورْدَتُها فى خَدِّهِ الأَسِيلِ
كأَنَّما النُّورُ وتدرجُ الصَّبَا ينشُر فوقَ الماءِ دِرْعاً مُذْهبَا

---

(١) راجع بدائع البدائه لابن ظافر ص ١٣٥ ، والبيت الأول « أحب ... » والبيت الثالث « والتاح فوق الماء . . . » و« كالبرق فى أديم سماء » .

(٢) النسر كوكبان : فى السماء الواقع والطائر أو برج والجوزاء : برج فى السماء .

الفصل السادس

فيما قيل فى تشبيه الثريا

أحسنُ ما قيل فيها قول الحاتمى[1] :

وليلٍ أَقمْنَا فيه نُعْمِلُ كأْسَنَا ... إلى أَنْ بَدا للصُّبح فى الجَوِّ عَسْكَرُ
ونجْمُ الثُّريَّا فى السَّماءِ كأَنَّهُ ... على حُلَّةٍ زَرْقاءَ جَيبٌ مُدَنَّرُ

وقال ابن حمديس[2] :

وليل رَسَوْنَا فى عُبابِ ظَلامِهِ ... إلى أَنْ طَفَا للصُّبْحِ فى أُفْقِه نجْمُ
وكأَنَّ الثُّرَيَّا فيهِ سبْعُ جَواهِرٍ ... يُفَصِّلُها جَزْعٌ به فُصِّل النَّظْمُ
وتَحسِبُها فى جَحْفل الليل سُرْيَةً ... عمائِمُهمْ بيضٌ وخيْلُهُم دُهْمُ
كأَنَّ السُّها مُضْنًى أَتوْهُ بنَعْشِه ... ذوُوه فَظنُّوا أَنَّ موْتَتَهُ حَتْمُ

وأَجمع ما قيل فى تشبيهها قول السلامى[3] :

والثريَّا كرايةٍ أَو كَجَامٍ ... أَو بَنانٍ أَو طائرٍ أَو وِشَاحِ

ويقرب منه قول الصنوبرى ،وقيل إنه لابن المعتز ، وذكره الصولى :

قمْ فاسْقِنى والظَّلامُ مُنْهزِمٌ ... والصُّبْحُ بادٍ كأَنَّهُ علَمُ

---

(١) الحاتمى ، أبو على محمد بن الحسن توفى سنة ٣٨٨ هـ كاتب شاعر أديب . ترجم له ياقوت معجم الأدباء ٦/٥٠١ ط جب ، وابن خلكان وفيات ٣ / ٤٨٢ ط محيى الدين ، والبيتان فى زهر الآداب ٢/٧٦٥ ، وفى معجم الأدباء جـ ٦/٥٠٢ وروايتها عجز الأول « ... للصبح فى الليل عسكرُ » .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٤٠٦ ورواية عجز الثانى « فواصلها . . . » والثالث « وتحسبها من عسكر الشهب سربة »، وصدر الرابع « ... مضنى أتاه» وابن حمديس هوعبدالجبار بن حمديس الصقلى، رحل إلى الأندلس وكأن من شعرائها المشهورين فى بلاط ابن عباد .

(٣) يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٢ / ٤١٣ .

والطَّيْرُ قَدْ أطربَتْ وأعربَتْ الأَ لحانَ طُرًّا لكِنَّها عُجُمُ
ومَيَّلتْ رأسَها الثُّريَّا بأَسْ رَارٍ إلى الغَرْبِ وهىَ تَحْتَشِمُ
فى الشَّرقِ كَأْسٌ وفى مَغاربِها قُرْطٌ وفى أَوْسَطِ السَّمَا قَدَمُ

وأخذ أبو على ابن رشيق بعضَ هذا المعنى فقال :

وليلٍ بعيدُ الجَانبيْنِ سَهِرته مع النَّجْمِ حتَّى مُقْلَتِى ليسَ تُطْبَقُ
وقد جنحتْ فيه الثريَّا كأَنها على عاتِقِ الجوْزاءِ قُرطٌ مُعَلَّقُ

وقال السَّرىُّ المُوصلِىّ[1] :

كأَنَّ الثُّريَّا راحةٌ تَشْبُرُ الدُّجَى لتعْلَمَ طالَ اللَّيْلُ لِى أَم تَعرَّضَا
فاعجَبْ بِليْلٍ بينَ شرقٍ ومغْرِبٍ يُقَاسُ بشِبْرٍ كيفَ يُرْجى له انْقِضَا[2]

وأخذهُ أبو الوليد ابن زيدون [3] ، ونقص منه فقال :

زارنى بعد هجعة والثُّريَّا راحــةٌ تقدُرُ الظَّلامَ بِشَبْرِ

وقال ابن وكيع :

ومشمولةٍ من بنات الكروم تُميتُ الهمومَ وتُحْيى الجَذَلْ
تَناولْتُها وشبابُ الظَّلامِ قدْ شَابَ من فجْره واكتَهَلْ
وقد شاكَلَتْ فى أَديم السَّماءِ نجومُ الثُّريّا للحْظِ المُقَلْ
دنانيرَ أَعطتْكَها راحةٌ سوادُ الخِضَابِ بِها قدْ نَصَلْ

---

(١) غير مثبت فى الديوان المطبوع ضمن شعره ، وجاء فى نهاية الأرب جـ ١ / ١٣٦ نسبة البيت للرفاء .

(٢) فى نهاية الأرب « عجبت لليل . . . »

(٣) ابن زيدون الشاعر الأندلسى توفى سنة ٤٦٣ هـ . ترجم له صاحب الذخيرة جـ ١ قسم أول ص ٢٨٩ — ٣٨٣ والبيت فى ديوانه تحقيق على عبد العظيم ص ٢٣١ .

وقال عبد الوهاب الأزدى القيروانى ، المنعوت بالمشعل فيها وفى المريخ والمشترى[١] :

كأنهـا راحةٌ أشارَتْ لأخذِ تُفَّـاحةٍ وكاسِ

وقال ابن رشيق فيها وفى المريخ والمشترى :

رأيت بهْرامَ والثُّريَّا والمُشْتَرى فى العِيانِ كَرَّهْ
كراحةٍ خيرتْ فحَارَتْ ما بينَ ياقُوتَةٍ ودُرَّهْ

وقال ابن الرومى[٢] :

والثُّرَيَّا كأنَّهـا فى بُرُوجِ المطَالِـعِ
كفُّ خَوْدٍ تخَتَّمَتْ فى رُءُوس الأَصَابعِ

وأخذَه الوأْواءُ فقال[٣] :

كأنَّمـا الفَرْقَدَانِ فيهِ على الثُّريَّا مُراقِبَيْنِ
كأنَّهـا كفُّ لازَوَرْدٍ فيها تَطارِيفُ من لُجَيْنِ

وأخذَهُ ابنُ هانئ الأندلسى[٤] ، وزاد عليه فقال :

وولَّتْ نجُوم للثريَّا كأنَّها خواتِمُ تبدُو فى بَنانٍ وتخْتَفِى

وقال ابن خفاجة[٥] :

وكأنَّما نجمُ الثُّريَّا سُحْرَةً كفٌّ تُمسِّحُ عن معاطفِ أشْهَب

---

(١) من شعراء أفريقيا ، ورواه ، ابن منظور فى « نثار الأزهار» ص ١١٣ ط . ١٢٩٨ هـ .
(٢) لم ترد بديوانه المطبوع – والخود الحسناء الشابة الناعمة .
(٣) ديوان الوأواء ص ١٢١ ، والفرقدان نجمان يهتدى بهما .
(٤) ابن هانئ : محمد ، أبو القاسم . شاعر مشهور توفى سنة ٣٧٠ قتيلا ببرقة .
(٥) ابن خفاجة الأندلسى، إبراهيم بن عبد الله ، أبو إسحاق من الشعراء الوصافين توفى سنة ٥٣٣هـ.

ولمنصور بن كيغلغ :

رُبَّ ليلٍ سهرْتُ حتَّى تجلَّى ... مُغْرَماً فى ظلامه أتململَّى
والثريَّا كأنَّها رأْسُ طِرْفٍ ... أدْهمٍ زينَ باللِّجام المُحلَّى

وقال تميم بن المعز :

ألا سقِّيانى دُرَّة ذهبيَّةً ... فقد ألْبسَ الآفاق جنْحُ الدُّجى دَعَجْ
كأنَّ الثُّريا والظَّلامُ يحُفُّها ... فُصوصُ لُجيْنٍ قد أحاطَ بها سَبَجْ[1]

ومما ينسب إلى ابن المعتز هذان البيْتان :

ألا سقِّنيها والظَّلامُ مُقَوِّضٌ ... وطرفُ الدُّجى نحو المَغارب يركُضُ
كأنَّ الثريا فى أواخرِ ليلها ... تفتُّحُ نُونٍ أو لجامٌ مُفَضَّضُ

ولأبى العباس الضبى[2] :

خِلْتُ الثُّريَّا إذ بَدَتْ ... طالِعَةً فى الحندس
مُرسلَةً من لؤْلؤٍ ... أو باقةٍ من نَرْجِس

وقال حسينُ بنُ المهذَّبْ :

كأنَّما اللَّيْلُ والثُّريَّا ... تسْبَحُ فى جوّه وتجْرى
زنجيةٌ جُرِّدَتْ فأبْدَت ... فى صَفْحةِ الصَّدْرِ عِقْدَ دُرِّ

وقال ولدُه القاسمُ من قِطْعَةٍ :

وكأنَّها لما دنَتْ لِغُروبها ... نارٌ تصوَّبُ هابطًا من مَرْقَبِ

---

(١) السبج : الخرز الأسود .

(٢) هو أحمد بن إبراهيم الضبى من أدباء القرن الرابع ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة (جـ ٣ ص ٢٦٠) وأثنى عليه ، وقال إنه من أصحاب الصاحب بن عباد ، وأنه اصطنعه لنفسه وأدبه بآدابه . وقال : « قد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابى بقيت متماسكة بأبى العباس ، وأشرفت على التهافت بموته » .

وقال ابن صردر من قصيدة فيها[١] :

وكأنها والشمل يجمعها رهطٌ قد اجتمعوا على سرِّ
مثل العذارى من تعفُّفِهَا تستصْحِبُ الدَّبَرانَ كالخِدْر

وقال ابن حمديس من قصيدة[٢] :

والثريا رجَحَ الجوُّ بها كابن ماءٍ ضم للجوِّ جنَاحْ
وكأنَّ الشَّرْق منها ناشِقٌ باقةً من ياسَمِين أوْ أقَاحْ[٣]

وقال التهامى من قصيدة[٤] :

وللثريَّا ركودٌ فوقَ أرحُلِنَا كأنَّها قِطْعَةٌ من فروةِ النَّمِر

ومن قطعة للوأواء[٥] :

فتخيَّرتُ لهـا التَّشْبيـ هَ بالقَوْل المُصِيبْ
وهىَ كأسٌ فى شرُوقٍ وهىَ قرطٌ فى المَغِيبْ

وقال ابن وكيع فيها :

أقولُ لبدْرِى والخُمارُ يكدُّنى ولى طرْقُ مَجْنونٍ وإطْراقُ مُرْعِش
ألا سقِّنِيها والثُّريا كأنَّما كواكبُها فى جَوِّها غصْنُ مُشْمُشِ

---

(١) صردر هو الشاعر على بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وديوانه مطبوع ، والبيتان ص ١٧٨ ورواية البيت الأول « فكأنها والشمس تجمعها رهط قد ازدحموا على سر » ؛ والدبران : نجم .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٨٤ ورواية الشطر الثانى للوكر جناح وصدر البيت الثانى فى الديوان : « وكأن الغرب . . . » .

(٣) والأقاح زهر أبيض اللون .

(٤) والتهامى ، على بن محمد أبو الحسن من شعراء القرن الرابع (توفى مقتولا سنة ٤١٩ هـ) وديوانه مطبوع ، والبيت ص ٢٤ ، ورواية العجز « . . . جلدة النمر » .

(٥) ديوان الوأواء ص ٣١ .

ولعبد المحسن الصُّورى من قطعة[١] :

والثريّا خفّاقةٌ بجناح الغَـ ـرْبِ تَهْوِى كأنّها رأْسُ فَهْدِ

وللوأْواء[٢] :

وكأَنَّ الذِّراعَ تحتَ الثُّريَّا رايةٌ ركِّبَتْ بغيْرِ سِنَانِ

ولأَبى الحسَنْ البديهى[٣] :

ربَّ ليلٍ قطعتُه باجتماعٍ مَعَ بيضٍ من الأَخِلاَّءِ غُرِّ
وكأَنَّ الكؤُوس زُهْرُ نجُومٍ والثريَّا كأَنَّها عِقْدُ دُرِّ

وقال ظافر الحداد[٤] :

كأَنَّ أَنجُمَها فى اللَّيلِ زاهرةً دراهمٌ والثريَّا كفُّ منْتَقِدِ

وليوسُف بن حمويه القزوينى :

زارَنى فى الدُّجى فنَم عليْه طِيب أَرْدانِه لدَى الرُّقَبَـاءِ
والثريَّا كأَنَّها كفُّ خَوْدٍ أُبْرِزَتْ من غُلاَلةٍ زرْقَاءِ

وأَخذه المَلْكُ فقالَ من مزدوجة :

والنجمُ قدْ لاحَ لنَا بالمشْرِقِ ككفِّ خوْدٍ فى قَميصٍ أَزْرَقِ

---

(١) أحد شعراء اليتيمة من أهل الشام ، قال عنه الثعالبى إنه من الأدباء المجيدين يتيمة الدهر جـ ١/٣٠٩ .

(٢) ديوان الوأواء ص ١٢٦ .

(٣) هوعلى بن محمد ذكره صاحب اليتيمة من شعراء شهرزور فى القرن الرابع وقال إن الصاحب كان يتعصب عليه وكذلك أبو بكر الخوارزمى – يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ / ٣٤٠ . ٣٠٩ ط الصاوى

(٤) ذكره العماد فى خريدة القصر جـ ٢ / ٤ ، ورواية البيت « كأن أنجمها فى الليل لائحة .. » .

وقال ظافر الحداد :

كأَنَّ الثريَّا تقدُمُ الفجْرَ والدُّجَى ... يضمُّ حواشِى سِجْفِه للمغَارِبِ[1]

أَخو سطْوةٍ وافَى فأَوْمَى بكَفِّه ... على حنَقٍ منْه لِتَهْدِيدِ هَارِب

وقال المملوك من قطعة :

يا نديمى بادر لشرب المُدامِ ... واعصَ قولَ اللُّحاةِ واللُّوَّام

فانظرُ الجوَّ كيفَ يضْحَك لمَّا ... كسَر النورُ عسْكَرَ الإِظْلاَم

وجيوشُ الصَّباح تتبع جيشَ اللَّـ ... ـيْلِ لمَّا ألحَّ فى الانهزامِ

وكأَنَّ السَّماءَ بنْدُ حريرٍ ... أَسودٌ جاءَ مُذْهب الأَعْلام[2]

والثريَّا كمِثْل قُرطٍ تبدَّى ... فى يدِ الفَجْرِ من نِهابِ الظَّلامِ

---

(١) السجف بالكسر الستر .

(٢) البند : الراية .

الفصل السابع

فيما قيل فى سائر النجوم من التشبيه

قال ظافرُ الحدَّاد من قصيدة :

كأَنَّ نجومَ اللَّيْلِ لمَّا تبلَّجَتْ ... تَوقُّدُ جمْرٍ فى سَوادِ رمَادِ
حَكى فوقَ مُمْتَدِّ المجَرَّةِ شكلُها ... قَواقِعَ تطْفُو فـوقَ لُجَّةِ وادِ
وقدْ سبَحَتْ فيه الثُّريا كأَنَّها ... بَنيقاتُ وشْى فى قَميصِ حِدَادِ[1]
ولاحتْ بنُو نعْشٍ كتنْقِيطِ كاتِبٍ ... بِيُسْراهُ للتَّعْلِيمِ أَحْرُفَ صَـادِ
إلى أَنْ بدا ضَوْءُ الصَّباحِ كأَنَّهُ ... رِداءُ عرُوسٍ فيـهِ صِبْغُ مِدَادِ

وقال ابن شرف القيروانى من قطعة[2] :

تحتَ الظَّلام الذى مثلَ الظَّلِيم جَثَا ... والبدْرُ بيضَتُه والأُفق أُدحىُّ
حَنَى على واقِعِ النَّسريْنِ ذِرْوَتَـهُ ... كأَنَّه بيْدَقٌ باثْنينِ محْمِىُّ
وقد تولَّت بناتُ النَّعْشِ هابطَةً ... كأَنَّما هِى فى بحْرٍ سُمارىُّ
وقَيصَرُ الشَّرْقِ قَدْ أَبْدَى طَلائعَه ... وانهدَّ بالمغربِ الجيشُ النَّجاشِىُّ

وقال القاضى التَّنُوخى[3] :

كأَنَّما المَرِّيخُ والمُشْـتَرى ... قُدَّامَه فى شـامِخِ الرِّفْعَـهْ
منصرفٌ باللَّيْـلِ عن دعْوةٍ ... قد أَوقَدُوا قُدَّامَه شَـمْعَهْ

---

(١) بنيقة : رقعة تزاد فى نحر القميص لتوسيعه .

(٢) ابن شرف القيروانى ، من شعراء القيروان فى القرن الخامس الهجرى (توفى سنة ٤٦٠ هـ) وقد غادرها كابن رشيق إلى الأندلس ، وكانت بينه وبين ابن رشيق مناظرة ومهاجاة .
(راجع فوات الوفيات جـ ٢ / ٤١٠ – ٤١٢) ، والظليم ذكر النعام ، والبيدق : قطعة شطرنج .

(٣) البيتان فى اليتيمة جـ ٢ / ٣٧٧ وبنات نعش مجموعة كواكب ورواية عجز الثانى « وقد أمرجوا قدامه . . . » .

وقال ابن المعتز فى وصف سحابة[١] :

كأَنَّ سماءَها لمَّا تَجَلَّتْ خِلالَ نجُومها عند الصَّباحِ
رياضُ بَنَفْسَجٍ خَضِلٍ نداهُ تَفَتَّح فيهِ نُوَّارُ الأَقَاحِي

وأَخذ أَبو بكر الخَالدِى هذا المعنى فقال وقصّر[٢] :

أَرْعَى النُّجُوم كأَنَّها فى أُفْقِها زَهْرُ الأَقاحى فى رياض بنَفْسَجِ

وقال الوأْواءُ فى المعنى[٣] :

رُبَّ نجُومٍ فى ظَلامٍ أَزْرقِ راعيتُها فى مَغْربٍ ومَشرقِ
كأَعْيُنٍ من خَجَل لم تُطْرِقِ أَو نَرْجِسٍ فى روضةٍ مُفَرَّقِ

وأَخذه العَرَقْلَةُ الدِّمشْقِيُّ فقال[٤] :

كأَنَّ السَّماءَ وقدْ أَشرَقَتْ كواكبُها فى دُجى الحِنْدِس
رياضُ البنَفْسَجِ محميةٌ تَفتَّح فيها جَنَى النَّرْجِسِ

وأَخذه المملوك فقال :

واللَّيْلُ والأَنْجُمُ فيــه حَكَى بنَفْسَجاً أَزْهَرَ فيه الأَقَاحْ

ويُنْسب إلى ابن المعْتَز من قطعة :

وتوقُّــدُ المرِّيخ بين نُجومِه كبهَارةٍ فى روْضَةٍ من نَرْجِسِ[٥]

---

(١) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٥ ورواية عجز البيت الثانى فى الديوان (تفتح بينه نور . . .) وخضل : مبتل .

(٢) يتيمة الدهر جـ ٢ / ١٩٠ .

(٣) ديوان الوأواء ص ٩٣ ، ورواية صدر البيت فى الديوان : « كأنها من خجل . . » .

(٤) عرقلة . حسان بن نمير ، أبو الندى شاعر دمشقى المولد والمقام ؛ توفى سنة ٥٦٧ هـ وقد قارب الثمانين . راجع ترجمته فى : خريدة القصر — شعراء الشام جـ ١ / ١٨٣ والروضتين جـ ١ / ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٧٧ وفوات الوفيات لابن شاكر جـ ١ / ٢٢٢ — ٢٢٧ .

(٥) البهار : زهر أصفر اللون .

وقال هاشم بن العباس المصرى من قطعة[١] :

وكأَنَّما المرِّيخُ بينَ نُجُومِه ياقوتةٌ فى جوْهرٍ مُتَبَدِّدِ

وقال ابن حمديس من قطعة[٢] :

فكأَنَّما عُقَدُ الحنَادِسِ بُوكِرتْ بيدٍ من الصُّبْح المُنِير فحُلَّتِ

وكأَنَّ أَنجُمَها على أَعْجازِها دَرَقٌ على أَعجازِ دُهْم ولَّتِ

وقال ابن وكيع من قصيدة :

وللسماءِ وشُـحٌ من النُّجُوم وسُمُطْ.

تَحْكِى بساطاً أَزْرقاً فيه من التِّبْرِ نُقَطْ.

وقال فى الجوْزَاءِ وأَجاد[٣] :

قم فاسْقِنى صَافِيةً تهْتِكُ سِتْرَ الغَسَقِ

أَمَا ترَى الصُّبْحَ بدَا فى ثَوْبِ ليلٍ خَلِقِ

أَمـا تَرى جوْزاءَهُ كأَنَّها فى الأُفُقِ

مِنْطَقَةٌ من ذهَبٍ فوقَ قِباءٍ أَزْرَقِ

وقال أَيضاً :

ما زِلْتُ أَشرَبُها وأَسْقِى صَاحِبِى والصُّبْحُ فى سِرْبالِ تِبْرٍ مُشْرِقِ

حتَّى بدَتْ زُهْرُ النُّجُومِ كأَنَّها دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أَزْرَقِ

---

(١) هاشم بن العباس المصرى ذكره السيوطى فى « حسن المحاضرة » ج ١ ص ٢٦٩ ، وأثنى عليه .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٧٠ ، ورواية عجز البيت الثانى « . . درق على أكفال . . » الدرق : الترس من الجلد ، الدهم : مفرده أدهم وهو الجواد الأسود .

(٣) ابن وكيع ص ٨٣ ورواية عجز البيت الأول « . . وتهتك جنح » .

وشَارَكَهُ أَبو عثْمَانَ الخَالِدِى فقَال[١] :

وليلةٍ لَيْلاَءَ فى الْ لَوْنِ كلَوْن المفْرِقِ
كأَنَّمـا نجُومُـــها فى مَغْربٍ ومَشْرِقِ
دَراهمٌ مَنْثُـــورَةٌ فوقَ رداءٍ أَزْرَقِ

ولابن وكيع أَيضاً فى المعنى[٢] :

أَما تَرى أَنْجُمَ الدَّياجِى تُزْهِـرُ فى جَوِّها النَّقِىِّ
تَحْكى لنَا لؤْلؤًا نَثِيرًا على بِساطٍ بنَفْسَجِىِّ

ولابن مِكنَسة السَّكَنْدرِىّ من قصيدةٍ :

والزَّهرُ قد حَفَّت بِه مثلُ عُيُونِ الرُّمَّـقِ
كأَنَّما أَشْـــكَالُها لا معـةً فى الأُفُـقِ
مـــداهنٌ من ذَهَبٍ قد مُلِئَتْ بالزِّئْبَقِ

وقال مؤيد الدين الطغرائى فى أَنجم الرجم ، وإن كانت القافية لينة[٣] :

ولَيْلٍ تُرى الشُّهْبُ مُنْقَضَّةً به نحو مُسْتَرِق سَمْعَهْ
تراها إذا انتَثرتْ فى السَّماء ولم تَخْلُ مِنْ ضَوْئِها بُقْعَهْ
مزاريقَ تِبْرٍ ترَامتْ بِهَا بنُو الحُبْشِ فى حَوْمَةِ الوَقْعَهْ

وقال ابن زيدون من قصيدة[٤] :

والدُّجى من نُجُومِهِ فى عقُودٍ يتلأْلأْنَ من سِمَاكٍ ونَسْرِ
تَحسَبُ الأُفْقَ تحتَها لازَوَرْدًا نُثِرتْ فوقَهُ دنَانِيرُ تِبْـرِ

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٢ ص ٢٠٤ ورواية البيت الثالث « . . . على بساط أزرق » .

(٢) ابن وكيع ص ١٠٠ ورواية عجز البيت فيه (فى جوفها) .

(٣) ديوان الطغرائى ص ١١٩ ورواية الأبيات فى الديوان مختلفة الألفاظ .

(٤) ديوان ابن زيدون نشر على عبد العظيم ص ٢٣١ .

ومن جيد الشعر المجهول فى تشبيه السماءِ والنُّجوم :

سبحانَ من رفَعَ السماءَ بأَمْرِهِ ... من غيرِ أَعْمِدةٍ تكونُ عِمَادا
وكأَنَّما هىَ خيمةٌ مضْروبَةٌ ... جُعِلَ الكواكبُ حولَها أَوتَادَا

وقال المملوك :

وليلٍ زارَنى فيــهِ حبيبٌ ... مليحُ الشَّكْلَ ساجى المُقْلَتيْنِ
وقد بدت النجومُ على سماءٍ ... تكامَلَ صحوُها فى كلِّ عيْنِ
كَسَقْفٍ أَزرقٍ من لا زَوَرْدٍ ... بدتْ فيه مَسامِرُ من لُجيْنِ

الفصل الثامن

فيما قيل فى تشبيه قوس قُزَحْ والثلج والبرق والغيم

ومن أحسن ما قيل فى قوس قُزَح قول سيف الدولةِ بن حمدان ، وينسب إلى ابن الرومى ، وهو الصحيح[1] :

وساقٍ صَبيحٍ للصَّبُوحِ دعَوتُه ... فقامَ وفى أجْفَانِه سِنَةُ الغَمْضِ
يطوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنْجُمٍ ... فمِنْ بينِ مُنْقَضٍّ علينَا ومُنْفَضِّ
وقد نشَرتْ أيْدِى الجنُوبِ مَطارِفا ... على الجوِّ دُكْناً والحَواشِى على الأَرْض
يُطرِّزهَا قوسُ الغَمام بأَصْفَرٍ ... على أَحْمَرٍ فى أَخْضَرٍ تحْتَ مُبْيَضِّ
كأَذْيالِ خَوْدٍ أقبلَتْ فى غلائلٍ ... مُصبَّغَةٍ والبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وللوأواء ، وأجاد[2] :

سَقْياً لِيومٍ بدَا قوسُ الغمَامِ بهِ ... والشمسُ طالعةٌ والبرقُ خلاَّسُ
كأَنَّهُ قوسُ رامٍ والبُروقُ لهُ ... رَشْقُ السِّهامِ وعينُ الشَّمْسِ بُرْجَاسُ

وقال ابن بليْطة الأَندلسى من قطعة :

ولاح فى الجوِّ قوسُ الجوِّ مكتَسِياً ... من كلِّ لونٍ بأَذْنابِ الطَّوَاويسِ

---

(١) وردت الأبيات بتمامها فى ديوان ابن الرومى طبع الكيلانى جـ ٣/٤٧٣ ، وقد نسبها الثعالبى فى اليتيمة لسيف الدولة ، قائلا : « وهذا من التشبيهات الملوكية » يتيمة الدهر جـ ١/٣١ . ورواية البيت الرابع فى الديوان :

يطرزها قوس السحاب بأخضر ... على أحمر فى أصفر إثر مبيض

(٢) يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٧٥ ، وديوان الوأواء ص ٧٦ ورواية اليتيمة للأول (. . . قوس السماء) والديوان « سقيا ليوم غدا قوس الغمام به » .

والبرجاس : غرض ينصب فى الهواء على رأس رمح يرمى نحوه بالسهام .

وقال السَّرىُّ الموصِلىُّ من قِطعَة[١] :

والجـــوُّ فى مُمَسَّكٍ طِرازُه قوسُ قُزَحْ
يبكى بلا حُزْنٍ كمَا يَضْحَكُ من غيْرِ فَرَحْ

وقال الصاحبُ بن عباد فى الثلج وأَجاد[٢] :

أَقبلَ الثَّلْجُ فانبَسِطْ. للسُّرورِ ولِشُرْبِ . الصَّغِيرِ بعْدَ الكَبيرِ
فكأَنَّ السَّماءَ صاهَرَتْ الأَرْ ضَ فصارَ النِّثَارُ من كافُور

ولأَحمد بن على العلوى فيه ، واستدعى صديقاً :

هوَاكَ من الدُّنيا نَصِيبى وإِنَّنِى إليكَ لمُشْتاقٌ كجَفْنِى إلى الغَمْضِ
فزُرْنِى وبادِرْ يومَ ثَلْجٍ كأَنَّهُ شَمائِمُ كافورٍ نُثِرْن على الأَرْض

وقال أَبو الفتح البُستى ، وأَجاد[٣] :

قد نَظمْنا السُّرُورَ فى عِقْدِ أُنْسٍ وجعَلْنَا الزَّمانَ للَّهْو سِلْكَا
وشرِبْنَا المُدَامَ فى يوْمِ ثَلْجٍ عُزِلَ الغَىُّ فيهِ رُشْدًا ونُسْكَا
فكأَنَّ السَّحَابَ تَنْحَلُّ كَافو رًا علينا ونحْنُ نَفْتِقُ مِسْكَا

وقال ظافر الحداد :

ويومٍ ضَاحِكٍ يبْكِى ضَعِيفِ مَعاقِدِ السِّلْكِ
أَشوبُ بِبرْدِه بَرَدًا كمبْسِمِ من حَوى مِلْكِى

---

(١) فى اليتيمة جـ ٢ / ١٦٩ .

(٢) يتيمة الدهر للثعالبى جـ ٣ ص ٢٦١ . ورواية عجز البيت الأول « ولشرب الكبير بعد الصغير » والصاحب بن عباد هو الوزير الكاتب الشاعر المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ورواية الديوان (نشر الشيخ محمد آل ياسين بغداد ١٩٦٥) ص ٩٤ هى :

أقبل الثلج فى غلا ئل نور تتهادى بلؤلؤ منثور

(٣) البستى ، على بن محمد ، أبو الفتح الكاتب الشاعر توفى سنة ٤٠٠ هـ ، وأولع فى شعره بالتجنيس ، ذكره الثعالبى فى اليتيمة مع أبيات من شعره ، والأبيات المذكورة ليست فى الديوان المطبوع .

كأَنَّ الرِّيحَ تَنشُرُهُ على الأَرْضيْنِ فى وشْكِ
تُغرْبِل من خلالِ النَّـ ـد كافُورًا على مِسْكِ.

وقال كشاجم فيه من قصيدة[١] :

الثلجُ يسْقُطُ. أَم لجَيْنٌ يُسْبَكُ أَمْ ذَا حصى الكَافور ظَلَّ يُفَرَّكُ
ولِعَتْ به الأَرضُ الفضَاءُ كأَنَّها من كلِّ ناحيةٍ بثَغْرٍ تَضْحَكُ
شابتْ ذوائبُها فَبيَّنَ ضِحْكُها طرباً وعَهْدِى بالمَشِيبِ يُنَسَّكُ

ومن قطعة له أَيضاً[٢] :

فكأَنَّ ما ينْهَلُّ من سَيْلِ النَّدى أَيدٍ نثَرْنَ من الجُمَانِ عقُودَا

وقال أَيضاً فيه وفى السحاب[٣] :

غيثٌ أَتَانا مُؤْذِنٌ بِخَفْضِ مُتَّصِلُ النَّوِّ حثِيثُ الرَّكْض
كالجيْشِ يتْلُو بعضَه بالبَعْض يضْحَكُ عن برقٍ خَفِىِّ الوَمْضِ
كالكَفِّ فى انبِساطِها والقَبْضِ دنَا فخِلْنَاهُ دُوَيْنَ الأَرْضِ
إلفاً إلى إلفٍ بِسرٍّ يُفْضِى ثُم هَوى كاللُّؤْلُؤِ المُنفَضِّ

وقال ابن التمّار فى البرق من قِطْعة[٤] :

فاشْرَبْ على طِيبِ الزَّمانِ فيوْمُنَا يومُ التِذَاذٍ قد أَتَى برذَاذِ

---

(١) الأبيات فى ديوان كشاجم ص ١٤٠ ورواية صدر الثانى « راحت به الأرض الفضاء . . . » .

(٢) ديوان كشاجم ص ٤٧ ، ورواية صدر البيت « فكأنما ينهل من سيف » .

(٣) الديوان نفسه ص ١٠٨ ، وقد ذكرت الأبيات على خلاف ماذكر هنا وهى كما يلى :

غيث أتانا مؤذن بخفض متصل الوبل حثيث الركض
يقضى بحكم الله فيما يقضى كالجيش يتلو بعضه لبعض
يضحك من برق خفى الومض كالكف فى انبساطها والقبض
دنا فخلناه فويق الأرض متصلا بطولها والعرض
إلفاً إلى إلف بسر يفضى ثم هوى كاللؤلؤ المرفض

(٤) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ — ٣٧٠ .

وانْظُرْ إلى لَمْعِ البُروقِ كأَنَّها يومَ الضِّرابِ صفائِحُ الفُولاذِ

وقال ابن المعتزّ فى البروق من قصيدة[١] :

أَرِقْتُ لبَرْقٍ كَثِير الوَميضِ تَرامَى غوارِبُه فى الشُّهُبْ
كأَنَّ تألُّقَــه فِى السَّماءِ سُطورٌ كُتِبْن بماءِ الذَّهبْ

وقال أيضاً من قصيدة[٢] :

إذا تعرَّى البرقُ فيها خِلْتَه بَطْنَ شُجاعٍ فى كَثيبٍ يَضْطَرِبْ
وتــارةً تُبْصِرُه كــأَنَّهُ أَبلقُ مالَ جُلُّهُ حينَ وثَبْ
وتارَةً تخالُه إذا بَدَا سَلاسِلاً مصْقُولةً من الذَّهَبْ

ولأَبى بَكر الخالدى فى الرعد والبرق والسحاب ، وأَجاد[٣] :

وسحابٍ يجرُّ فى الأَرضِ ذيلَيْ مِطْرفٍ زَرَّهُ على الأَرْض زرّا
برقُه لمْحَةٌ ولكنْ له رَعْـ ـدٌ بطىءٌ يكسُو المَسامع وقْرَا
كخَلِىٍّ مُنافقٍ تهواهُ يَبْـ ـكِى جَهْرًا ويَضْحكُ سِرًّا

وقال ابن قلاقس فى مثله ، وإن كانت التَوطئة ليست جيدة[٤] :

كأَنَّمَا الرَّعدُ والسَّحابُ وقدْ جدَّ ذهَاباً والبرقُ إذ لاحَا
ثلاثةٌ من عدُوِّهِمْ نفَرُوا إليهمُ قدْ غَدا وقَدْ رَاحَا
فسَلَّ هذا سيفاً لهُ وبكَى هذَا وهذَا من خِيفةٍ صَاحَا

---

(١) البيتان غير واردين فى الديوان المطبوع .

(٢) ديوان ابن المعتز ص ١٦ ، وفى البيت الثانى جله : الجل ما تلبسه الدابة .

(٣) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ١٩٠ .

(٤) ديوان ابن قلاقس ص ٢٨ ، ورواية عجز الثانى « قد غدا نحوهم وقد راحا » .

وقال أبو عثمان الخالدى[١] :

كَأَنَّ الرُّعُودَ خِلَالَ البُرو ... قِ والرِّيحُ تُكثِرُ تَحرِيضَها
زنوجٌ إذا خَفقَتْ بينَها ... دَبَادِبُها جَرَّدتْ بَيضَها

وقال أيضاً فى الطل والسحاب والبرق من قطعة[٢] :

أما تَرى الطَّلَّ كيفَ يلَمْعُ فى ... عُيونِ نَوْر تدْعُو إلى الطَّرَبِ
فى كلِّ عيْنٍ للطَّلِّ لُؤْلُؤَةٌ ... كدَمْعَةٍ فى جُفُون مُنْتَحِبِ
والجَوُّ فى حُلَّةٍ ممَسَّكَةٍ ... قدْ طَرَّزتْها البُروقُ بالذَّهَبِ

وقال السَّرِىُّ من قِطْعَةٍ[٣] :

والجوُّ يَخْتَالُ فى حُجُبٍ مُمَسَّكَةٍ ... كأَنَّمَا البَرْقُ فِيها كفُّ ذِى رُعْبِ

وللوزير المهلبى[٤] :

يَومٌ كأَنَّ سَمَاءَهُ ... شِبْهُ الحِصَانِ الأَبْرَشِ
وكأَنَّ زهْرَةَ أَرضِه ... فُرِشَتْ بأَحْسَنِ مَفْرَش
فسماؤُه دُكْنُ الخُزُو ... زِ اوأرضُهُ خُضْرُ الوُشِى

وهو من قول ابن الرومى[٥] :

يومُنا للنَّديم يومُ سرُورٍ ... والتِذَاذٍ ونِعْمَةٍ وابْتِهَاجِ
ذُو سماءٍ كأَدْكَنِ الخَزِّ غِيمَتْ ... فوقَ أَرضٍ كأَخْضَرِ الدِّيبَاجِ

---

(١) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٢٠١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٩ ورواية البيت الثالث « قد كتبتها البروق . . . » .

(٣) اليتيمة جـ ٢ ص ١٧٣ .

(٤) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٢٣٧ ورواية صدر البيت الثانى « وكأن زهرة روضة » والحصان الأبرش على جلده نقط بيض أو سود تخالف لون جلده ، فهو منقط .

(٥) لم يرد البيتان فى الديوان المطبوع لابن الرومى .

وللناشئ الأصغر[١] :

خليليَّ هَلْ للمُزْنِ مُقْلَةُ عَاشِقٍ ... أَم النَّارُ فى أَحشَائِها وهىَ لا تَدْرِى
أَشارَتْ إلى أَرْضِ العِرَاقِ فأَصبَحَتْ ... وَكاللُّؤْلُؤِ المنثورِ أَدمُعُها تَجْرِى
تَسَرْبلُ وشياً من خُزُوزٍ تَطَرَّزَتْ ... مطارِفُها طُرْزًا مِنَ الوَشْى كالتِّبْر

وقال يوسُف بنُ هارون الرَّمادِى الأَندلسى من قطعة[٢] :

والغيث من سَحابِه ... طَلٌّ ضَعِيفٌ يَنْزِلُ
كأَنَّهُ بُـــرَادَةٌ ... من فِضَّة تُغَرْبَلُ

وقال المملوك من مزدوَجة فى البرق :

والبَرْقُ مذْ أُرْهِفَ من شِفَارِهِ ... لا حَتْ دِماءُ المَحْلِ فى غِرَارِه
كأَنَّهُ والنُّورُ منْهُ قد طَفَا ... نَشْوانُ رشَّ فى حَدِيقٍ قَرْقَفَا
وتارةً يبْدُو كبنْدٍ من ذَهبْ ... يَخْفِضُ طورًا ثم طَوْرا ينتَصِبْ
وتارةً تحسَبُه إذ يَعْرِضُ ... كأَرقشٍ لِسَانُهُ يُنَضْنِضُ[٣]
وربَّما تَرى به تَداخُلا ... تخَالُهُ من ذَهَبٍ سَلاسِلَا
وتارةً يخْفِقُ غيرَ شارِقٍ ... كأَنَّه خَفْقُ فُؤَادِ العَاشِق
وتارةً خفْقًا شَدِيدَ القِصَرِ ... لمحًا ضَعيفاً كاخْتلاجِ البَصَرِ

---

(١) وردت الأبيات فى يتيمة الدهر جـ ١ ص ٢٣١ وقد نسبها الثعالبى لأبى العباس الناشئ، والناشئ هو أحمد بن محمد بن أبى العباس ، شاعر من فحول شعراء القرن الرابع ومن خواص سيف الدولة بعد المتنبى . ورواية البيت الثالث فى اليتيمة « طرزاً من البرق كالتبرق » ورواية عجز البيت الثانى (كاللؤلؤ المتبول) .

(٢) والرمادى من شعراء الأندلس فى القرن الرابع توفى سنة ٤٠٣ هـ ، وراجع فى ترجمة نفح الطيب جـ ٥ ص ٢١٤ ، والمغرب جـ ١ ص ٣٩٢–٣٩٤ ، والصلة لابن بشكوال، وجذوة المقتبس ورواية النفح

والأفق من سحابه ... طل ضعيف ينزل
كأنه من فضة ... برداة تغربل

(٣) أرقش : ثعبان منقط بسواد وبياض .
وينضنض . . يتحرك .

الفصل التاسع

فى تشبيه المجرة

قال ابن المعتز من قطعة ، ويُنسَبُ إلى الخبَّازِ البلدى :

وكأَن المَجَرَّ جدْوَلُ ماءٍ نوَّر الأُقحوانُ من جَانبيْهِ

وأَخذه ابنُ حجَّاج فقال من قطعة[1] :

يا صاحِبىَّ استَيْقظَا من رَقْدةٍ تُزْرى على عقْلِ الدَّبِيبِ الأَكيْسِ
هَذِى المجرَّةُ والنجُومُ كأَنَّها نَهْرٌ تدَفَّقَ فى حَدِيقةِ نَرْجِسِ

وأَخذهُ المُهَذَّبُ بن الزبير وزاد عليه شيئاً من الصناعة ، فقال[2] :

وترى المجرَّةَ فى النُّجُومِ كأَنَّها تَسْقِى الرِّياضَ بجَدْوَلٍ ملآنِ
لو لم تكنْ نهْرًا لما عامت بِه أَبدًا نُجومُ الحُوتِ والسَّرَطانِ

وقال ابن صُرَّدُرّ من قصيدة[3] :

وعلى المجَرَّةِ أَنجُمٌ نُظِمَتْ مثل الفِقَارِ تلوحُ فى الظَّهْرِ
هَذَا حَبَابٌ فوقَ صفحَتِها طَافٍ ، وهذَا جَدْوَلٌ يَجْرِى

---

(١) ابن حجاج من شعراء بغداد فى القرن الرابع الهجرى ، وكان شعره يسخف لتناوله المعانى والموضوعات التى لاتستتر من العقل بسجف . وله ديوان شعر لم يطبع. ذكره الثعالبى فى اليتيمة جـ ٣ ص ٦٥ .

(٢) المهذب بن الزبير ، كاتب شاعر مصرى معروف من شعراء القرن الخامس وأوائل السادس فى عصر الفاطميين ، واختص بالوزير الشاعر الصالح بن رزيك ، ذكره العماد فى خريدة القصر جـ ١ ص ٢٠٩ ، وابن شاكر فى فوات الوفيات ٢٤٣ — ٢٤٧ .

(٣) ديوان صردر ص ١٧٨ ، وقد درج الناسخ على أن يكتبه صربعر ، ورواية عجز البيت الأول فى الديوان «مثل الفقار نسقن فى الظهر » .

وقال ابنُ خَفَاجَة[1] :

لَبِس المجَرَّ على السَّوادِ فَخِلْتُه مُتَرهِّبًا قد شَدَّ من زُنَّار

وقال المملوك من قطعة وقد تقدمت :

والليلُ فرعٌ بالكَواكِبِ شَائبٌ فيهِ مجرَّتُه كمِثْل المَفْرق

---

(١) ديوان ابن خفاجة ص ٣٣ .

الفصل العاشر

فى تشبيه الصبح

قال أبو بكر الخَالدى من قصيدةٍ ووصف ديكا[1] :

مطربُ الصُّبْحِ هيَّج الطَّرَبا ... لما قَضَى اللَّيلُ نحْبَهُ انتَحبا
مُفْرِدٌ تابَع الصِّياحَ فمَا ... يَدْرى رضًى كانَ ذاكَ أَمْ غَضَبا
ما تنْكرُ الطيرُ أَنَّهُ ملِكٌ ... لهَا فبالتَّاج راحَ معْتَصِبَا
طوَى الظَّلامُ البنُودَ مُنْصرفاً ... لمَّا رأَى الصُّبْحَ يَنْشُرُ العَذَبَا
واللَّيْلُ من فَتْكَةِ الصَّباح بهِ ... كرَاهِبٍ شَقَّ جَيْبَه طَرَبَا

وشاركه السَّرِىُّ المُوصلِي فقَال من قطعة[2] :

كراهب جُنَّ لِلْهَوى طرَباً ... فشَقَّ جلْبابَهُ من الطَّـرَبِ

وقال أَبُو بكر أَيضاً من قصيدة :

ما عُذْرُنَا فى حبْسِنَا الأَكوابَا ... سقَط النَّدى فصفَا الهَواءُ وطَابَا
وكأَنَّما الصُّبْحُ المُنِيرُ وقَدْ بدَا ... بَازٍ أَطَارَ من الظَّلَام غُـرَابَا

وقال ظافرُ الحداد[4] :

وصبيحةٍ باكرتُها فى فِتْيَة ... أَضْحُوا لِكُلِّ نَفِيسَةٍ كالأَنْفُسِ

---

(١) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ١٨٥ ورواية البيت الرابع « . . حين رأى الفجر » .

(٢) ديوان السرى ص ٦٣

(٣) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ١٧٤ ط . الصاوى ١٩٣٤ م .

(٤) خريدة القصر للعماد جـ ٢ ص ٧ قسم شعراء مصر مع خلاف يسير فى بعض الألفاظ فالبيت الثانى رواية العماد « والبدر قد ولى . . . » والثالث « والنور قد أخفى . . . » والعجز « سيل يسيل . . . »

واللَّيْلُ قد ولَّى بعبْسَةِ راحلٍ والصُّبْحُ قد وافَى بِبِشْرِ مُعَرِّس
والفَجْرُ قَدْ أخْفَى النُّجوم كأَنَّهُ سَيْلٌ يفيضُ- على حديقةِ نرْجِس

وقال محمد بن عطيَّة بن حيَّان القيْروانى الكاتب[1] :

فكأَنَّما الصُّبْحُ المُطِلُّ علىَ الدُّجَى ونجُومُه المتأَخِّراتُ تَقوَّضَا
نَهْرٌ تعرَّضَ فى السَّماءِ وحَوْلَهُ أَشْجارُ ورْدٍ قدْ تفتَّح أَبْيَضَا

وقال ابنُ وكِيع من قصيدةٍ :

حتى إذَا اللَّيْلُ بدَا فيه من الصُّبح وَخَطْ.[2]
وخِلْتَ ذا فِى جِسْم ذَا حين تعرَّى وانكَشَطْ.
غـــلا لةً فِضِّيَّـــةً عن جِسْم زنْجِى تُعَطْ.[3]

وأَخذه أَبو الفتوح ابن قلاقس فقال من قصيدة[4] :

حتى تبدى الصبح من جنباته فكأَنه الزنجىُّ شُقَّ قِباؤُهُ

وقال ابن المعتز ، وهو أَحسن ما قيل فى الفجر المعترض[5] :

والليْلُ قد رقَّ وأَصغَى نجمُه واستوْفَزَ الصُّبْحُ ولمَّا ينْتَصِبْ
مُعْتَرِضاً بِفَجْرِه فى لَيْلَةٍ كفرَسٍ بيضَاءَ دهماءِ اللَّبَبْ

وله أَيضاً من قطعة[6] :

والصُّبْحُ يتْلُو المُشْتَرِى فكأَنَّه عريانُ يَمْشِى فى الدُّجَى بِسراج

---

(١) لم نعثر له على ترجمة فيما رجعنا له من المصادر ويغلب أنه من رجال القرن الخامس الهجرى .
(٢) الوخط اختلاط الشيب بالشعر .
(٣) عط الثوب : شقه طولا أو عرضاً .
(٤) لم يرد بديوانه المطبوع .
(٥) ديوان ابن المعتز ص ١٦ ، ورواية الديوان لعجز البيت الأول « . . . ولما ينتقب » .
(٦) ديوان ابن المعتز ص ٢٦٢ . واستوفزَ : تحفز فى قعدته وتهيأ للقيام ، واللبب الصدر .

وقال القاضى التَّنوخى فيه من قِطْعة[١] :

كأَنَّ عيُونَ السَّاهِرَاتِ لِطُولِها إذا شَخَصتْ فى الأَنْجُم الزُّهْر أَنجُمُ
كأَنَّ سوادَ اللَّيْل والفَجْرُ ضَاحِكٌ يَلُوحُ ويخْفَى أَسْودٌ يتَبَسَّمُ

وأَخذَه ابنُ وكيع فقال :

والفجرُ قد خالَطَ بِالنّور الغَسقْ فجاءَ فى هيئَة طِرْفٍ ذى بلَقْ
تَبسُّمَ الزنجِىِّ عن ثغر يقَقْ[٢]

(١) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٣٧ ، ورواية البيت الأول « . . عيون الساهرين » .

(٢) اليقق : الأبيض الناصع البياض .